الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

تغاير نسق الفاصلة القرآنية

-بين الإيقاع و المعنى-

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

شعبة القرآن الكريم و الدراسات الأدبية

إشراف:

- الأستاذ الدكتور محمد طول

إعداد الطالب:

عبد الصمد شريفي.

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور رضوان النجار	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
الأستاذ الدكتور محمد طول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
الأستاذ الدكتور محمد موسوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
الدكتور حسين فارسي	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	مناقشا
الدكتور محمد باقي	أستاذ محاضر	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا

السنة الجامعية:

1432-1431هـ
2010- 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا

كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء]

إهداء وشكر

أهدي هذا العمل المتواضع إلي الوالدين الكريمتن المشجعتن المعينتن على كل خير بدلا للنفس و النفيس في سبيل نجاحي، وإلي إخوتي الأعزاء.

وأشكر أستاذي الكريم مؤطري وموجهي في عملي هذا رغم كل الصعاب الأستاذ الدكتور: محمد طول بارك اللّه فيه.

كما لا أنسى بالشكر الأساتذة الذين درسونا خلال السنة النظرية، جزاهم اللّه كل خير.

وأشكر كل من أسهم في إعانتي ولو بكلمة أو إشارة من الإخوان الناصحتن.

وجزى اللّه الكل خيراً.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المتقين وبعد:

فقد وَرَّثَ علماء القرآن ميراثا عظيما، وذلك فيما خَطُّوه من رسائل ومصنفات، كانت المراجع والمصادر لمن جاء بعدهم من العلماء وطلبة العلم، وقد نبهوا على جزئيات في بحوثهم أصبحت فيما بعد علوما قائمة بذاتها.

ومما أشار إليه الأوائل من دراسات تتعلق بالفاصلة تمثلت في تناسب الفواصل مع آياتها، وأنواع البديع فيها من تذييل، وتطريز، ومزاوجة...وغير ذلك، كما أشاروا أيضا إلى تشاكل الفواصل، وتغاير الحروف فيها وقسموها على أساس ذلك.

ويأتي موضوع **"التغاير في نسق الفاصلة القرآنية -بين الإيقاع والمعنى -"** واحدا من تلك الموضوعات، بيانا لإعجاز النظم.

إذ أن الدارس في كتب التفسير، وكتب علوم القرآن، وكتب الإعجاز فيما يخص مواضع المغايرة في نسق الفاصلة في القرآن الكريم. يجد جمهور المفسرين يذهب إلى مراعاة الإيقاع الصوتي، في حين يرى آخرون إلى أنه قد روعي في ذلك المعنى وسببه، ويجد فريقا ثالثا يتردد بين الرأيين.

فالمغايرة في نسق الفواصل مقصودة، لكن هل هذا التغاير للمناسبة الصوتية واتحاد الإيقاع؟ أو هو لمعان أوجبتها أسباب معينة؟ أو لكليهما؟ هل يكفي أن نقول في فاصلة شابهت غيرها أن القول فيها كالقول في سابقتها؟ هل هناك خواص عامة اشتركت فيها الفواصل أم اختصت كل فاصلة بميزات؟

وقد وقفت على بعض الكتب التي تناولت في طياتها الموضوع أهمها:

- التفسير البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن.
- من روائع القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي.
- فواصل الآيات القرآنية للدكتور كمال عبد الغني المرسي.

ففي هذا البحث سيتم الوقوف على ما يلي:

- مفهوم: الفاصلة، التغاير، النسق...
- عرض أراء القائلين بالمناسبة الصوتية في مغايرة نسق الفواصل القرآنية والقائلين بالمناسبة المعنوية وتناولها بشكل علمي موضوعي.
- دراسة نماذج من الأنساق المتغايرة للفاصلة القرآنية.
- دراسة المغايرة للفاصلة القرآنية في متشابهات القرآن اللفظية.

هذا وتكمن أهمية البحث في:

- جدة البحث فيه عند العلماء المتأخرين ولاسيما المتخصصين في الدراسات البيانية للقرآن الكريم والباحثين في علم المناسبات.
- بيان جانب من جوانب إعجاز القرآن في فواصله.
- إبراز جماليات التركيب القرآني.
- تحرير الاختلاف وخاصة إذا كان للتنوع بحيث يسوغ الجمع بين الأقوال وتوجيهها.
- بيان الدور الهام للفاصلة القرآنية في تأويل النص القرآني.

اتبعت في عرض هذا البحث المنهج الاستقرائي مرتكزا على التحليل والموازنة. قائما بما يلي:

1- دراسة ظاهرة التغاير.

2- الموازنة بين الآراء المتباينة في هذا الموضوع بين أنصار الإيقاع-المشاكلة الصوتية- وأنصار المعنى، بحيث لا أذكر نصوص القائلين بالمشاكلة الصوتية واتحاد الإيقاع لكثرتها تأسيا بكتاب الله وسنته في عدم تعداد الحلال لكثرته.

3- عزو الآيات الكريمة إلى مواطنها في المصحف، مشيرا إلى اسم السورة ورقم الآية.

4- عزو الأحاديث النبوية والآثار حسب الطاقة.

5- الترجمة لبعض علماء البلاغة.

6- التقديم للبحث بقراءة في المفاهيم أرجو أن تكون كافية كمدخل إليه.

7- شكل ما يحتاج إلى شكل خاصة الآيات الكريمة.

8- التعليق عَلَى المواطن التي هي بحاجة إلى مزيد إيضاح وبيان.

9- وفي مبحثي الفصل الأخير مشيت على النحو التالي:

المبحث الأول: حول متشابهات القرآن التي تغايرت فاصلاتها، قد اشترطت للمتشابهات شروطا وهي كالتالي:

أولا: أن تكون الآية تامة، لا بعض آية أو ضمنها.

ثانيا: أن توجد للآية مشابهة تامة كذلك.

ثالثا: أن تتغاير الآيتان المتشابهتان فقط في الفاصلة.

وهذا ضبطا لمجال البحث وتضييقه.

والمبحث الثاني: حول متشابهات القرآن التي وطئت فاصلاتها، كانت الشروط على المتشابهات كالتالي:

أولا: أن تكون الآية تامة، لا بعض آية أو ضمنها.

ثانيا: أن توجد للآية مشابهة تامة كذلك، بحيث تشابهها في الفاصلة أيضا غير أن هذه الفاصلة تزيد عن الأولى بحرف واحد وطئت به.

وتحقيقا لأهدافي التي أرجو أن أكون قد وفقت فيها عالجت الموضوع حسب الخطة التالية:

مقدمة

- **الفصل الأول: قراءة في المفاهيم:**
  - **المغايرة.**
  - **الأنساق.**
  - **الفاصلة**
  - **الإيقاع.**
  - **المعنى.**
- **الفصل الثاني: مغايرة الأنساق في الفاصلة القرآنية:**

📖 **المبحث الأول: من مغايرات الأنساق في الفاصلة.**

📖 **المبحث الثاني: التغاير بالتقديم والتأخير:**

❖المطلب الأول: مقتضيات التقديم والتأخير في أفراد الكلام.

❖المطلب الثاني: التقديم والتأخير بين المتعاطفات.

❖المطلب الثالث: التقديم والتأخير بين الصفات.

❖المطلب الرابع: تقديم وتأخير، الجار والمجرور مع متعلقه.

📖المبحث الثالث: التغاير بالحذف والزيادة:

تمهيـد

❖المطلب الأول: الحذف:

❖المطلب الثاني: الزيادة:

➢ الفصل الثالث: مغايرة الفواصل في متشابهات القرآن.

📖 المبحث الأول: معنى المتشابه اللفظي

📖 المبحث الثاني: إبدال فاصلة بغيرها.

📖المبحث الثالث: توطيء الفاصلة بحرف أو لفظة في مشابهتها.

الخاتمة.

وأثناء البحث اعترضتني أمور منها:

1- صعوبة احتواء المادة القرآنية بأكملها، لاستحالة الفصل بين أي كلمة في القرآن وسياقها.

2- اختلاف الآراء في توجيه تغاير وحيد للفاصلة، إلى درجة عدم القدرة على تقديم قول على آخر.

وأرجو أن أكون قد وفقت في عرضي للبحث، كما أرجو أني قد أفدت من بحثي نفسي وغيري.

وأخيرا، أتقدم بالشكر لكل من قدموا لي يد العون وبدلوا لي الغالي والنفيس في سبيل إنجاح هذا العمل داعيا لهم الله بالتوفيق.

الأربعاء 04 رجب 1431هـ/ 16 جوان 2010م

شريفي عبد الصمد

الفصل الأول:

قراءة في المفاهيم.

- المغايرة.
- الأنساق.
- الفاصلة.
- الإيقاع.
- المعنى.

أولا: المغايـــــرة:

لـــــــغة:

المغايَرة:" وهي المبادَلة"[1] اهـــ.

وفي الاصطلاح البلاغي:

قالوا: "أن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه"[2] اهـــ.

وأيضا:"من المغايرة تفضيل القلم على السيف إذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومي[3]

(إن يخدم القلمَ السيفُ الذي خضعتْ ** له الرقابُ ودانت خوفه الأممُ)

(فالموتُ والموتُ لا شيءٌ يغالبُهُ ** مازال يتبع ما يجري به القلمُ)

(كذا قضى الله للأقلامِ مذ بُريتْ ** أن السيوفَ لها مذ أُرهفتْ خدمُ)

وغاير المتنبي[4] ذلك وقال:

(حَتَى رَجَعْتُ وَأَقْلاَمِي قَوَائِلُ لِي ** الـــمَجْدُ لِلسَيْفِ لَيْسَ الـــمَجْدُ لِلْقَلَمِ)

والمغايرة هنا مليحة لكن المعنى مأخوذ من قول أبي تمام السيف أصدق إنباء من الكتب"[5]اهـــ.

---

(1) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية، دط، دت، مادة (غ ي ر) ج13،ص287.

ولسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر دار صادر- بيروت، ط1، مادة(غ ي ر) ج5، ص34.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تح: الشيخ بهيج غزاوي، نشر دار إحياء العلوم، دط، 1419هـــ 1998م، بيروت، ص74.

(3) ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-، ط3، 1423هـــ- 2002م، ج3، ص284.

(4) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر-بيروت-، ط1، سنة1403هـــ- 1983م، ص497.

(5) خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي، تح: عصام شقيو، نشر دار ومكتبة الهلال، دط، 1987م، بيروت، ج1 ص229-230.

ثانيا: النسق:

لـــــــغة:

عرفوه أنه " ما جاء من الكلام على نظام واحد. والنَسْقُ بالتسكين: مصدر نسقت الكلام، إذا عطفت بعضه على بعض. والتَنْسِيق: التنظيم."[1] اهـــ.

قال الأزهري: "قال الليث: النَّسَق: منْ كل شيء ما كان على طريقة نظامٍ واحدٍ، عامّ في الأشياء... وسمعت غير واحدٍ من العربِ، يقولُ لطَوارِ الجبل إذا امتدّ مُستويا كالجدار نَسَقٌ، ولذلك قيل للكلام الذي سُجِعَتْ فواصله، له نسق حسن. وقال ابن الأعرابي: أنْسق الرجُل إذا تكلمَ سَجعا..."[2] اهـــ.

جاء في المعجم الوسيط: "(نَسَّقَ) الشيء نَسَقًا نظمه يقال نَسَّقَ الدر و نَسَّقَ كتبه والكلام عطف بعضه على بعض...، (نَاسَقَ) بين الأمرين تابع بينهما ولاءم، (نَسَقَهُ) نظمه. (انْتَسَقَت) الأشياء انتظم بعضها إلى بعض يقال نَسَّقَها فانتسقت، (تَنَاسَقَت) الأشياء انْتَسَقَت يقال تَنَاسَقَ كلامه، (تَنَسَّقَت) الأشياء انْتَسَقَت، ... ويقال هذا نسق على هذا عطف عليه، (النَّسَق) ما كان على نظام واحد من كل شيء يقال جاء القوم نَسَقًا وزرعت الأشجار نَسَقًا ويقال شعر نَسِقٌ مستوي النبتة حسن التركيب ودر نَسِقٌ منتظم والمَنْسُوق يقال كلام نَسِقٌ متلائم على نظام واحد و(حروف النَّسَق) حروف العطف"[3] اهـــ.

---

(1) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري إسماعيل بن حماد (ت393هـــ)، نشر دار العلم للملايين- بيروت، ط 4- يناير1990. ج5، ص244.

والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، نشر مؤسسة الرسالة-بيروت-، دط، دت، ص1193.

(2) تهذيب اللغة ، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت- 2001م، ط1، تح: محمد عوض مرعب ج 8، ص 313-314.

(3) المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر ــ محمد النجار، تح: مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة، دط، دت، ج2، ص918- 919.

وفي الاصطلاح البلاغي:

ذكرهم أن "من المجاز كلام متناسق وقد تناسق كلامه وجاء على نسق ونظام..."[1]اهـ.

فمما تقدم نجد أن كلمة نسق تطلق على أمور منها:

نَظَم: كقولهم: نَسَقَ دررا في عقد.

ترتيب ونظام واحد: نحو: جاءت حروف الكلام على نسق واحد.

طابع الشيء وسمته: مثل: نسق لون.

فالنسق: كل كلام انتظم تركيبه، وجاء على سمة واحدة.

(1) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ت538هـ، نشر دار الفكر، دط، 1399هـ-1979م، ص630.

ثالثا: الفاصلة:

لـــــــغة:

جاء في مختار الصحاح: "ف ص ل: الفصلُ واحد الفصولِ و فصلَ الشيء فانفصل أي قطعه فانقطع"[1].

قال صاحب لسان العرب: "(فصل) الفصْل بوْن ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل... الفصل الحاجِز بين الشيئين... والفاصِلة الخَرزة التي تفصِل بين الخَرزتين في النِّظام وقد فَصّل النظم وعقد مفصَّل أَي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة،...وأَواخر الآيات في كتاب الله **فَواصِل** بمنزلة قَوافي الشعر جلَّ كتاب الله عز وجل واحدها **فاصِلة** وقوله عز وجل: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْنَاهُ﴾[2] له معنيان أَحدهما تفصيل آياتِه بالفواصِل والمعنى الثاني في فَصّلناه بيّنّاه وقوله عز وجل: ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾[3] بين كل آيتين فَصْل تمضي هذه وتأْتي هذه بين كل آيتين مهلة وقيل مفصّلات مبيّنات والله أَعلم..." [4].

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـــ) في العين مادة (س ج ع):

" سجع الرجل إذا نطق بكلام له **فواصل** كقوافي الشعر من غير وزن... "[5]

اصطلاحـــا:

استعملت الفاصلة اصطلاحاً في عدد من علوم العربية: في النحو، وفي العروض،...، وما يتناسب مع البحث أي في علوم القرآن، وقد تعددت تعريفات العلماء لها قديماً وحديثاً:

---

(1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تح: محمود خاطر، نشر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، 1415 - 1995، ص517.

(2) سورة الأعراف: 52.

(3) سورة الأعراف: 133.

(4) لسان العرب، مادة (ف ص ل) ج11، ص521.

(5) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، نشر دار ومكتبة الهلال، تح: إبراهيم السامرائي، مادة(ف ص ل) ج1 ص214.

– عند علماء العروض:

أن "الْفَاصِلَة فاصلتان: صغيرةَ وكبيرةَ، فالصغيرةَ ثلاثةَ أحرفٍ متحركة بعدها حرفٌ ساكن نحو: "عَلِمَا"، "ضرَبَا"، والكبيرةُ أربعةُ أحرف مُحَرَّكَة بعدها حرف ساكنُ نحو: "عَلِمَتَا"، "ضَرَبَتَا". ولا يتوالى في الشعرِ أكثر من أربعةِ أحرفٍ متحركاتٍ.

ولا يجتمعُ فيه ساكنان إلا في قوافي مخصوصةٍ، وربما جاء شاذا في غيرِ القافيةِ نحو ما أملاه علي أبو العلاء المعري في هذا المعنى:

(فَرُمْنَ القِصاصَ وَكَان التَّقاصُ*** حتماً وفرضاً على المسلمينا)

والروايةُ الجيدةُ: وكان القصاص، حتى لا يجتمعَ فيه ساكنان"[1].

– عند علماء النحو:

"الفَصل عند البصريين بمنزلة العِماد عند الكوفيين كقوله عز وجل: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾[2]فقوله هو فَصْل وعِماد"[3].

– في علوم القرآن:

1) وسيبويه(ت180هـ) قال: (باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات):

"جميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه أن لا يحذفْ يحذفُ في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[4]...و﴿الكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[5]..." [6].

---

(1) الكافي في علمي العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تح: الحساني حسن عبد الله، نشر مكتبة الخانجي-القاهرة-، ط3، 1415هـ- 1994م، ص18.

(2) سورة الأنفال: 32.

(3) لسان العرب، ج11، ص521.

(4) سورة الفجر: 4

(5) سورة الرعد:9

(6) كتاب سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر، نشر دار الجيل- بيروت، ط1، تح: عبد السلام هارون، ج4، ص 184- 185.

2)أما الفراء (ت 207 هـ) في كتابه "معاني القرآن":

فيشير إلى أواخر الآيات بـ"فصول"[1] في موضع واحد فقط، و"رؤوس الآيات"[2] غالبا.

3)والجاحظ(ت**255 هـ**) ينقل السيوطي عنه قوله: "سمّى الله تعالى كتابه اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل: سمّى جملته قرآناً كما سمَّوا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، **وآخرها فاصلة كقافية**" [3].

4) ويقول الرماني (ت384 هـ) في كتابه "النكت":

"الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني"[4].

5) ويعرّف الباقلاني(ت403 هـ) الفواصل في كتابه "إعجاز القرآن":

" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"[5].

6) ويقول أبو عمرو الداني(ت444 هـ) في كتابه "البيان في عد آي القرآن": "باب ذكر البيان عن معرفة رؤوس آي السور وشرح علل العادين فيما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه من ذلك:

---

(1) معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، نشر دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، دط، دت، تح: محمد على نجار، ج 1، ص 44.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 16، و ج 3، ص 224.

(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،– تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة– 1961م- ج1، ص143.

(4) النكت- ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز- للرماني – تح: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر–1961م، ص98.

(5) إعجاز القرآن للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، ط3، 1374هـ 1954م، نشر دار المعارف بمصر-كورنيش النيل- القاهرة، ص270.

عن ابن أبي حماد عن حمزة قال قلت للأعمش ما لكم لم تعدوا ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾[1] قال إنها في قراءتنا "خيفا".

قال الحافظ-أبو عمرو- هذا الخبر أصل في معرفة رؤوس آي السور وفي تمييز فواصلها وذلك أن قوله: ﴿خيفا﴾ لما لم يكن متشاكلا لما قبله وما بعده من رؤوس الآي في وقوع حرف المد الزائد قبل الحرف المتحرك **الذي هو آخر الكلمة التي هي الفاصلة**... ولا مشبها لذلك ولا مساويا له في الزنة والبنية لم يكن رأس آية في سورة رؤوس آيها مبنية على ما ذكرنا كما لا يكون مثله رأس قافية في قصيدة مردفة مبنية على ياء وواو قبل حرف الروي الذي هو آخر حرف من البيت لأن رؤوس الآي والفواصل مشبهات لرؤوس القوافي من حيث اجتمعن في الانقطاع والانفصال واشتركن في لحاق التغيير بالزيادة والنقصان..."[2].

وقال أيضا: "وأما **الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما بعده** والكلام التام قد يكون رأس آية وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين"[3].

7)ونقل السيوطي في "الإتقان" عن الجعبري(ت732هـ)تعليقا على تعريف أبي عمرو الداني: "وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ﴿ يَوْمَ يَأْتِ﴾، و ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ وليسا رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية..."[4].

---

(1)سورة البقرة: 114.

(2) البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، نشر مركز المخطوطات والتراث- الكويت- 1414هـ- 1994 م، ط 1، تح: غانم قدوري الحمد، ص109.

(3) المصدر نفسه، ص126.

(4) الإتقان، ج3ص 332.

8) قال الزركشي(ت794هـ) في "البرهان":

"النوع الثالث: معرفة الفواصل ورؤوس الآي: وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع[1].

مناقشة الأقوال:

وقد ناقش محمد الحسناوي هذه الأقوال في كتابه "الفاصلة في القرآن" ورجح تعريفها بأنها: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر. قال: والتفصيل توافق آخر الآي في حروف الروي أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس"[2].

وهو ما يناسب البحث، فالحرف الأخير أو الوزن يشيران إلى الصوت وقد يكونان كلمة أو حرفا ذا معنى، وحتى يكون هناك معنى يجب أن تكون كلمة آخر الآية تامة -لا مجموعة حروف التقت من جهة الوزن والصوت ولا تحمل دلالة- وإلا لما كان إيجاب حسن إفهام المعاني.

فمن نظر إلى التشاكل الصوتي للفواصل وقارنها بالشعر أشار إلى الحرف الأخير والوزن وهي الفواصل الصناعية، ومن نظر إلى المعنى من حيث انفصاله وتمامه عندها، ذهب إلى الكلمة والله أعلم.

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، 1376 هـ- 1957 م، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج 1، ص 53.

(2) الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ، ط2، 1421هـ-2000م، نشر وتوزيع دار عمار-عمان- ص26 بتصرف.

علم فواصل الآي

إنما احتيج إلى هذا العلم لأن بعض القراء زاد على رسم الخط ستين ياء في رؤوس الآي، وبعضهم أمال رؤوس الآي من بعض السور، وبعض أصحاب الأزرق رقق ما غلظ من اللامات الواقعة في رؤوس الآي الممالة، فمن ثم احتيج إلى تمييز الفواصل من غيرها[1].

"وأما ﴿المتعال﴾ بالرعد [الآية: 9] فقرأه ابن كثير وكذا يعقوب بإثبات الياء في الحالين من غير خلف وافقهما ابن محيصن والباقون بالحذف فيهما.

وأما ﴿وعيد﴾ بإبراهيم [الآية:14] وموضعي ق [الآية:14، 45] و ﴿نكير﴾ بالحج [الآية:44] وسبأ [الآية:45] وفاطر [الآية:26] والملك [الآية: 18] و ﴿نذر﴾ ستة مواضع بالقمر [الآية: 16، 18، 21، 30، 37، 39] و ﴿أن يكذبون﴾ بالقصص [الآية:34] و﴿ولا ينقذون﴾ بيس [الآية:23] و ﴿لتردين﴾ بالصافات [الآية:56] و ﴿أن ترجمون﴾ و﴿اعتزلون﴾ بالدخان [الآية:20 - 21] و ﴿نذير﴾ بالملك [الآية:17] فقرأ ورش بإثبات الياء في التسع كلمات وصلا ويعقوب على أصله بإثباتها في الحالين فهذه سبع عشرة كلمة وافق فيها هؤلاء يعقوب على ما تقرر وما بقي من رؤوس الآي اختص بإثبات الياء فيه في الحالين يعقوب"[2]. بعضها ياءات تنطق ولا تكتب أضيفت لبيانها في القراءة.

---

(1) الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، إصدارات سنة 2006 م لمركز البحوث والدراسات-الشارقة، ط1، 1427هـ- 2006 م، ج3 ص488.

(2) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر-منتهى الأماني والمسرات في علوم القرآت-، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تح: أنس مهرة، نشر دار الكتب العلمية- لبنان- 419ه-1998م، ط1، ج1 ص157 بتصرف.

بين السجع والفاصلة:

اختلف العلماء قديما في إطلاق تسمية السجع على فواصل القرآن بين الجواز والمنع وانقسموا إلى فريقين[1]:

- فريق قال بعدم جواز تسمية الفواصل سجعا وهم الجمهور منهم الجعبري[2]، الرماني[3]، القاضي أبو بكر الباقلاني[4] وذكر أن أبا الحسن الأشعري[5] نصّ عليه. أدلتهم في ذلك:

---

(1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج3، ص334- 338 بتصرف.

(2) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق(640- 732 هـ= 1242- 1332 م): عالم بالقراآت، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر. ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بالس والرقة) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات. يقال له (شيخ الخليل) وقد يعرف بابن السراج، وكنيته في بغداد (تقي الدين) وفي غيرها (برهان الدين) له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر، منها (خلاصة الابحاث-خ) شرح منظومة له في القراآت، و(شرح الشاطبية) المسمى (كنز المعاني شرح حرز الاماني-خ) في التجويد، منه مخطوطة، في سفر ضخم، في خزانة الرباط، الرقم(1007د) و(نزهة البررة في القرآات العشرة) و(موعد الكرام-خ) مولد، وموجز في (علوم الحديث) و(حديقة الزهر-خ) في عدد آي السور، و(خميلة أرباب المقاصد-خ) في رسم المصحف، و(الشرعة-خ) قراآت و(عقود الجمان في تجويد القرآن-خ) ورسالة في (أسماء الرواة المذكورين في الشاطبية-خ) و(الروضة-خ) في الرسم. الأعلام للزركلي، نشر دار العلم للملايين، ط15 - 2002م - ج1 ص 55.

(3) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني(296- 384 هـ=908- 994 م): باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها (الأكوان) و(المعلوم والمجهول) و(الاسماء والصفات) و(صنفة الاستدلال) في الاعتزال، سبعة مجلدات، كتاب (التفسير) و(شرح أصول ابن السراج) و(شرح سيبويه) و(معاني الحروف-خ) رسالة صغيرة،...و(النكت في إعجاز القرآن-ط) رسالة. الأعلام للزركلي ج4 ص317.

(4) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر(338- 403 هـ= 950- 1013 م): قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الاشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه (إعجاز القرآن- ط) و(الانصاف- ط) و(مناقب الائمة- خ) و(دقائق الكلام) و(الملل والنحل) و(هداية المرشدين) و(الاستبصار) و(تمهيد الدلائل- خ) و(البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة- خ) و(كشف أسرار الباطنية) و(التمهيد، في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة- ط) الأعلام للزركلي ج6 ص176.

(5) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن (260- 324 هـ= 874- 936 م)، من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري: كان من ائمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها (إمامة الصديق) و(الرد على المجسمة) و(مقالات الاسلاميين- ط)

1. قول رسول الله ﷺ : " أسجع كسجع الكهان! "[1] فجعله مذموما.

2.لأن أصله من سجع الطير[2] فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ولأن القرآن كلام الله تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها.

3. فرقوا بين السجع الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، ولذلك كانت الفوا صل بلاغة والسجع عيبا .

4. لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز.

- وفريق قال بجواز تسمية الفواصل سجعا؛ ومنهم السبكي[3]، ابن سنان الخفاجي[4]، وغيرهم. أدلتهم في ذلك:

1.يكفي في حسن السجع ورود القرآن به.

جزآن، و(الابانة عن أصول الديانة- ط) و(رسالة في الايمان- خ) و(مقالات الملحدين) و(الرد على ابن الراوندي) و(خلق الاعمال) و(الاسماء والاحكام) و(استحسان الخوض في الكلام- ط) رسالة. و(اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع- ط) يعرف باللمع الصغير. الأعلام للزركلي ج4 ص 263.

(1) جاء في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، نشر دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، دط، دت، ج6، ص300: أن الحديث رواه الطبراني وفيه محمد بن سليمان بن مسمول وهو ضعيف، ولفظه: عَنِ الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، قَالَ: كَانَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ امْرَأَتَانِ، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِفِهْرٍ أَوْ بِعَمُودِ فُسْطَاطٍ فَأَسْقَطَتْ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَضَى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ بِغُرَّةٍ، فَقَالَ أَوْلِيَاؤُهَا: كَيْفَ نَدِي مَنْ لا صَاحَ وَلا اسْتَهَلَّ، وَلا شَرِبَ وَلا أَكَلَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:(أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الأَعْرَابِ؟).

(2)جاء في لسان العرب في مادة(س ج ع): (سَجْعُ الحمامةِ: موالاة صوتها على طريق واحد تقول العرب سجَعَت الحمامة إذا دَعَتْ وطَرَّبَتْ في صوتها وسجَعت الناقة سَجْعاً مدّت حَنِينَها على جهة واحدة) ج8 ص150.

(3) أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي: فاضل، له (عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح) ولي قضاء الشام (سنة 762 هـ) فأقام عاما، ثم ولي قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة (سنة763 هـ). الأعلام للزركلي، ج1 ص176.

(4) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي: شاعر، ولدسنة423هـ. أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره. وكانت له ولاية بقلعة (عزاز) من أعمال حلب، وعصي بها، فاحتيل عليه بإطعامه (خشكناجة) مسمومة، فمات سنة466 هـ وحمل إلى حلب. له(ديوان شعر- ط) و(سر الفصاحة- ط) الأعلام، ج4 ص 122.

2.السجع الذي يتبع المعنى- وهو غير مقصود متكلف- فذلك بلاغة والفواصل مثله وما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب.

3.أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات.

4.واستدلوا أيضا بأن الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون، ولمكان السجع قيل في موضع: ﴿هَارُونَ وَمُوسَى﴾[1] ولما كانت الفواصل موضع آخر بالواو والنون قيل: ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾[2]... وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي تسميه شعرا، وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر، وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه.

وتخريج القول في المسألة ما ذكره حازم القرطاجني[3] هو رأي وسط. قال:

"...ومنهم من يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام فقد يدعو إلى التكلف فرئي ألا يستعمل في جملة الكلام وألا يخلى الكلام منه جملة وأنه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف..."[4].

فالسجع الذي اجتلبه الخاطر عفويا محمود، ومذمومه المتكلف مذموم.

---

(1)سورة طه: 70.

(2)سورة الشعراء: 48.

(3) حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني(608 - 684 ه= 1211- 1285 م)، أبو الحسن: أديب من العلماء له شعر. من أهل قرطاجنة (Carthagène بشرقي الاندلس) تعلم بها و بمرسية وأخذ عن علماء غرناطة وأشبيلية، وتتلمذ على أبي علي الشلوبين ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس فاشتهر وعمّر، وتوفي بها. من كتبه (سراج البلغاء) طبع طبعة أنيقة محققة، باسم (مناهج البلغاء وسراج الادباء) وله (ديوان شعر- ط) صغير. وهو صاحب (المقصورة) التي مطلعها:

(لله ما قد هجت يا يوم النوى ** على فؤادي من تباريح الجوى)

شرحها في كتاب سماه (رفع الحجب المنشورة على محاسن المقصورة- ط)، الأعلام للزركلي، ج4، ص159.

(4) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، أبي الحسن(ت684هـ)، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، نشر دار الغرب الإسلامي-بيروت-، 1986م، ص301، 302 .

تاريخ مصطلح الفاصلة القرآنية وأهم ما ألف فيها[1]:

ينقل السيوطي[2] عن الجاحظ قوله:(سمّى الله تعالى كتابه اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل: سمّى جملته قرآناً كما سمّوا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية). كلام الجاحظ هذا يحمل عدداً من الدلالات:

أولها: استقرار الدلالة على تسمية أواخر الآيات بالفاصلة في طبقة الجاحظ، على حين كانت عبارة (مقاطع القرآن) هي المعروفة في طبقة الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ثم أصبحت خاصة أي (الفاصلة) بأواخر الآيات في طبقة أبي حسن الأشعري، حتى يومنا هذا، كما اختصت (القافية) بالشعر، والسجعة بالنثر.

الدلالة الثانية: الاستعانة بمنهج المقارنة بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الشعر في إظهار جماليات الأسلوب القرآني وإعجازه، وهذا نجده عند الإمام الباقلاني (ت403) في كتابه (إعجاز القرآن) والجرجاني (ت471) في كتابيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) ومن جاء بعدهما.

الدلالة الثالثة: التفطُّن إلى تسلسل وحدات القرآن وتماسكها: (فاصلة– آية– سورة– قرآن)، ثم الالتفات إلى التماسك (أو ما يسمى حديثاً الوحدة الفنية) أو ما سماه البقاعي التناسب (في الآيات والسور) وتابعه على ذلك السيوطي (ت911هـ) في(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) وكذا(أسرار ترتيب القرآن) وما سماه سيد قطب وعبد الحميد الفراهي وعبد الله دراز بـ(نظام القرآن).

(1) الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ص33-87 بتصرف.

(2) الإتقان، ج1ص 143.

من الذي كان أسبق إلى الاهتمام ببحوث الفاصلة؟

1 – علماء الكلام، بما فيهم المعتزلة والأشاعرة، بيانا لجمال النسق القرآني، والرد على الطاعنين فيه: كالجرجاني و الباقلاني والرماني وغيرهم.

2 – اللغويون: من رجال النحو والبلاغة على وجه الخصوص: كسيبويه والفراء وغيرهم .

3 – المفسرون والمهتمون بعلوم القرآن: كالزمخشري والآلوسي وغيرهم.

الكتب التي ألفت فيها:

وفي حدود ما أشار إليه العلماء من **الدراسات القديمة** حول الفاصلة ثمة نوعان:

1 – النوع الأول: وهي الكتب التي أُفردت للفاصلة، مثل:

أ. البيان في عد آي القرآن للحافظ أبي عمرو الداني (ت 444هـ). منه نسخة بمخطوطات الجامعة الإسلامية تحت رقم 1494، وتم طبعه ط1، تح: غانم قدوري الحمد من مركز المخطوطات والتراث-الكويت- سنة 1414هـ/1994م.

ب. ذات الرشد في الخلاف بين أهل العدد، نظم وشرح شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي المعروف بشعلة ت656هـ، نسخة مخطوطة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم/3961/ف.

ج. كتاب بغية الواصل لمعرفة الفواصل، كتاب مفقود، لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي (670- 710هـ).

د. رسالة المدد في العدد للعلامة شيخ القراء برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري ت732، مخطوط بالجامعة الإسلامية تحت رقم/194، رقم التسجيل العام 846.

ه. إحكام الرأي في أحكام الآي، لمحمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن شمس الدين المعروف بابن الصائغ الزمردي الحنفي (710 – 776هـ) مفقود لكن نقل منه السيوطي وغيره نقولاً.

و. منظومة في فواصل ميم الجمع، مخطوطة، لمحمد الخروبي (نظمها سنة 1026هـ).

ز. سعادة الدارين في بيان وعد آي معجز الثقلين للعلامة محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد (1357 هـ)، مطبوع ط1، بمطبعة المعاهد سنة1243هـ.

ح. القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، لأبي عيد رضوان المخللاتي (1311 هـ/1893م)، مخطوط بالجامعة الإسلامية تحت رقم/194، رقم التسجيل العام846.

ط. أرجوزة في علم الفواصل للشيخ محمد متولي ت1313هـ، مطبوعة.

ي. نفائس البيان: شرح الفرائد الحسان، في عدّ آي القرآن، مطبوع، لعبد الفتاح القاضي، وهو شرح وجيز لمنظومة في علم الفواصل.

ك.المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز شرح وتوجيه لأرجوزة العلامة الشيخ محمد المتولي شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية في وقته، تأليف عبد الرزاق علي إبراهيم موسى- ط1، 1408هـ-1988م، طبع مكتبة المعارف الرياض.

ل.معالم السير شرح ناظمة الزهر لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي و الشيخ محمد دعبيس مطبوع طبعة الحلبي القاهرة.

م. بشير السير شرح ناظمة الزهر لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي، مطبوع بالقاهرة.

ن.بيان عدد سور القرآن الكريم وآياته لأبي القاسم عمرو بن محمد بن عبد الكافي، نسخة مخطوطة منه بالجامعة الإسلامية تحت رقم فيلم/2.

2 – النوع الثاني: وهو الفقرات التي عُقدت للفاصلة في أثناء دراسات أعمّ:

أ – فمن مؤلفات علماء الكلام: لدينا

رسالة (النّكَت في إعـــجاز القرآن) للرمّـــاني.

و(إعجاز القرآن) للباقلاني.

ب – ومن مؤلفات النحويين : لدينا

(معاني القرآن) للفرَاء،

و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة.

ج – ومن أسفار المفسرين وعلماء القرآن: لدينا

(البرهان في علوم القرآن) للزركشي.

و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي .

د – ومن تصانيف البلاغيين: لدينا

(سرّ الفصاحة) لابن سنان الخفاجي.

وكتاب (الفوائد- المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) المنسوب لابن قيم الجوزية.

هذا وقد تناولت جهود القدماء الفاصلة في أبعادها المختلفة، ولكن الجهد الأكبر قد انصبّ على بُعد الفاصلة العلمي، لا سيما جهود المتأخرين منهم.

أما في **الزمن الحديث**، فلا تكاد تجد باحثاً في أسلوب القرآن الكريم إلا تناول (الفاصلة) في معرض حديثه، ويمكن أن نرى في المحدثين ثلاث فئات، نجملها فيما يلي:

أ – فئة وقفت عند حدود الجمع والتنسيق لجهود القدماء، مثل: الدكتور أحمد أحمد بدوي ولبيب السعيد وكامل السيد شاهين.

ب – فئة تجاوزت الجمع والتنسيق إلى المناقشة والترجيح وبعض الإضافة، مع تفاوت بين أفرادها، مثل : مصطفى صادق الرافعي ومحمد عبد الوهاب حمودة وعلي الجندي ومحمد المبارك وعائشة عبد الرحمن وعبد الكريم الخطيب .

ج – سيد قطب: انصرف إلى فتح أبواب جديدة في مناحي الفاصلة الجمالية، كالتصوير والإيقاع... وإن كان القدماء أنفسهم لم يهملوا الإيقاع الموسيقي للفواصل.

كيف تعرف الفواصل؟

لمعرفة (الفواصل) طرق:

الأول[1]: توقيفيّ، كما روى أبو داود عن أمّ سلمة لما سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ . قالت: كان يُقطّع قراءته آية آية[2]. وقرأتْ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إلى ﴿الذين﴾ تقف على كلّ آية، فمعنى (يقطّع قراءته آية آية)أي يقف على كلّ آية، وإنما كانت قراءته ﷺ كذلك ليعلِمَ رؤوس الآي.

والطريق الثاني[3]: قياسيّ، وهو ما أُلحق من المحتمل غير المنصوص عليه بالمنصوص لِمُناسب.

---

(1) البرهان للزركشي ج1ص89-101.

(2)أخرجه أحمد برقم: 27118 ، في المسند، تح: السيد أبو المعاطي النوري، نشر: عالم الكتب- بيروت-، ط1 ، 1419هـ ـ 1998 م، ج6 ص302.

(3) البرهان للزركشي ج1ص89-101.

ومبنى الفواصل على الوقف– كما قال الزركشي في البرهان[1]– ولذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[2]، مع تقدم قوله: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[3] و ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[4].

هذا بالنسبة إلى الوقف على السكون– وهو معظم الفواصل– لكن الفواصل المطلقة، يكون الوقف فيها– طبعاً– بإطلاق الحركة ومدّها، نحو قوله تعالى:﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾[5].

الثالث[6]: من طرق القياس التي تعرف بها الفاصلة الاتفاق على عد نظائرها في القرآن في تلك السورة أو في غيرها، مثل لفظ ﴿الْقَيُّومُ﴾[7]المختلف فيه في سورة البقرة، اتفق على عد نظيره في آل عمران فيحمل المختلف فيه على المتفق عليه في العد عند عدم النص.

الرابع[8]: انقطاع الكلام عندها كما يؤخذ من كلام الداني، من أن الفاصلة هي الكلام المنفصل.

---

(1)البرهان للزركشي ، ج1ص 69-70 .

(2)سورة الصافات:11.

(3)سورة الصافات:9.

(4)سورة الصافات:10.

(5)الإنسان: 15.

(6) المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز(شرح وتوجيه أرجوزة الشيخ محمد متولي)، تأليف عبد الرزاق علي إبراهيم موسى، نشر مكتبة المعارف–الرياض–، ط1، سنة 1408هـ– 1988م، ص37.

(7)سورة البقرة: 255.

(8)المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، ص37.

أقسام الفواصل[1]:

وللفاصلة عدد من الأبنية من حيث حرف الرويّ، أو الوزن، أو طول القرينة، أو طول الفقرة، أو من حيث موقع الفاصلة، أو مقدارها من الآية، أو مدى التكرار.

لم تلتزم فواصل القرآن العزيز **حرف الرويّ** دائماً التزام الشعر والسجع، و لم تُهمله إهمال النثر المرسل، بل كانت لها صبغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام، فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة.

أما المتماثلة–وتسمى المتجانسة أو ذات المناسبة التامة– فهي التي تماثلت حروف رويها، كقوله تعالى:﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾[الطور].

أما الفاصلة المتقاربة– وتسمّى ذات المناسبة غير التامّة[2]– فهي التي تقاربت حروف رويّها، كتقارب الميم من النون: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة].

هذان النوعان (المتماثلة والمتقاربة) غالبان على الفواصل، لا يكاد أحدهما يزيد عدداً على الآخر، لكن الملاحظ أن الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية: كسورة (النازعات) و(عبس) و(الانفطار) و(الأعلى)، على حين تغلب المتقاربة على الآيات والسور المدنية: كسورة (البقرة) و(آل عمران) و(المائدة).

وقد استقلت الفواصل المتماثلة بإحدى عشرة من سور المُفَصَّل (السور القصار)– ومعظمها مكيّ– هي:

1 – سور (القمر– القدر– العصر– الكوثر) التي تماثلت فواصلها في حرف الراء.

2 – سورتا (الأعلى– الليل) اللتان تماثلت فواصلهما في حرف الألف المقصورة.

3 – سورة (الشمس) التي على فواصل الألف الممدودة بعدها الضمير(ها).

---

(1) هذا الجزء مستفاد معظمه من كتاب الإتقان(ج 3 ص 356– 360) إلا ما أشير إلى موضعه في مظانه.

(2) النكت–ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص90.

وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، تح: عبد المتعال الصعيدي – مكتبة صبيح بمصر 1372هـ –ص 203. والبرهان ج1ص75.

4 – سورة (الإخلاص) التي على الدّال.

5 – سورة (الناس) التي على السين.

6 – سورة (المنافقون) التي على النون.

7 – سورة (الفيل) التي على اللام.

أما الفاصلة (المنفردة)[1]– وهي نادرة– فهي التي لم تتماثل حروف رويّها، ولم تتقارب، كالفاصلة التي خُتمت بها سورة (الضحى) (المكية):﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾[2].

وللفاصلة أقسام **من حيث توافق الوزن وانتفائه**، ومن حيث اجتماع الوزن مع عنصر آخر، أو انفراده.

فهناك (المطرّف)أو(المعطوف)[3]، وهو ما اتفق في حروف الروي لا في الوزن، نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤﴾[نوح :13- 14].

وهناك (المتوازي)[4]: وهو رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والرويّ، مثل قوله تعالى:﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ ﴾[الغاشية:13- 14].

وهناك (المتوازن)[5]: وهو ما راعى في مقاطع الكلام الوزن وحسب، كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٞ ۝١٦ ﴾[الغاشية:15-16].

---

(1) من بلاغة القرآن ، الدكتور أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، 1370هـ ، ط3 ، ص88.

(2)سورة الضحى: 9- 11.

(3) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان المنسوب لابن قيم الجوزية، مطبعة السعادة بمصر-ط1، 1327هـ- ص226-227 ، والبرهان للزركشي،ج1ص67.

(4) البرهان للزركشي ج1ص75.

(5) المصدر نفسه ج1 ص75.

هناك المُرصّع[1]: وهو أن يكون المتقدّم من الفقرتين مؤلفاً من كلمات مختلفة، والثاني من مثلها في ثلاثة أشياء: وهي الوزن والتقفية وتقابل القرائن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾[الغاشية:25-26].

وهناك أخيراً (المتماثل)[2] وهو: أن تتساوى الفقرتان في الوزن دون التقفية، وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية، فهو بالنسبة إلى المُرَصَّع كالمتوازن إلى المتوازي. قال تعالى:﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨ ﴾[الصافات:117-118]. فالكتاب والصراط يتوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير.

لكل فاصلة **قرينة**، جمعها قرائن، سميت بذلك لمقارنة أختها وتُسمّى فِقْرة، غير أن الفِقرة أعمّ من القرينة، لأنها مماثلة لقرينتها بحرف الرويّ (مسجوعة)، وغير مماثلة، والقرينة لا تكون إلا مماثلة، والقرينتان في النثر بمنزلة البيت من الشعر[3]. وقد ترتب على طول الفقرة وقصرها أقسام، قال قوم: هي ثلاثة أقسام: قصير موجز، ومتوسط مُعجز، وطويل مُفصح للمعنى مُبرز.

ومن القصير ما يكون من لفظ واحد، أو عدد من الحروف:(الٓمٓ-حٰمٓ-طٰسٓم) أو(الرحمن-الحاقة- القارعة). وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات. وما بين هذين متوسط، كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[النجم:1-4].

من الفواصل ما هو آية كاملة، وما هو بعض آية، وهذا النوع الثاني هو النوع الغالب المطّرد. والفاصلة التي تستغرق آية ترد في فواتح السور، وهي على شكلين:

الشكل الأول: المؤلف من مجموعة حروف مثل: (الٓمٓ-حٰمٓ-طٰسٓم).

---

(1) المصدر نفسه ج 1 ص77.

(2) المصدر نفسه ج 1 ص77.

(3) صبح الأعشى في كتابة الإنشا، للقلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ، نشر وزارة الثقافة – دمشق – 1981 ، تح: عبد القادر زكار ج 2 ص 304.

الشكل الثاني: المؤلف من كلمة مثل: (الرحمن) أو(الحاقّة) أو(القارعة).

أما الفواصل التي هي بعض آية، فعلى وجهين:

أحدهما ما كان جزءً من الآية، لا تقوم الآيات إلا به، ولا تستقل هي بمفهوم في غير آياتها، وذلك كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى:﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ وأكثر قصار السور جاءت فواصلها على هذا النحو من الاتصال.

ثانيهما: ما جاء وكأنه تعقيب على الآية، أو تلخيص لمضمونها، أو توكيد لمعناها... وقد تصرف القرآن في هذا تصرفاً عجيباً، فجاء بالفواصل بعد الآيات كأنها رجع الصدى، أو إجابة الداعي إذا دعا[1]، كقوله تعالى:﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ ﴾[الأحزاب: 10].

هناك نوع من الفواصل يرد ضمن الآية، كقوله تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾[الطلاق:12]، فلفظ (قدير) فاصلة داخلية بالإضافة إلى (علماً) الفاصلة في رأس الآية.

وهذه الفواصل الفرعية أو الداخلية أنواع، تنقسم انقسام الفواصل الأصلية: إلى فواصل متماثلة ومتقاربة، وغير متماثلة وغير متقاربة، وبمعنى آخر متباعدة، والفاصلة الداخلية ظاهرة من ظواهر القرائن والفقرات الطويلة، لأنها تقوم مقام المرتكزات والمحطّات النفسية معنى وموسيقى.

هناك من الفواصل ما يتكرر ورودها بشكل ملتزم في السورة الواحدة. و الالتزام أنواع، فقد يلتزم كلمة الفاصلة وحدها، كما ورد في سورة (البقرة) من التزام ﴿يَعۡلَمُون﴾ أو ﴿تَعۡلَمُون﴾ إحدى وعشرين مرة، أو التزام قسم مستقل من القرينة، و هو كثير مما تقفيته بالواو والنون فالياء و النون أو الياء والميم، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

(1) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص227.

﴿﴾ يرد خمس مرات في سورة البقرة، أو التزام آية أو قرينة بأسرها، أهمُّه ما تردّد في سور (الرحمن) و(المرسلات) و(الصافات) و(الشعراء). وقد يلتزم السياق بتكرار مقطع كامل-آيات عدة-، كما جاء في سور (الشعراء) (الصافات) و(القمر). والمقطع الملتزم في سورة (الشعراء) لم يقتصر على آية أو ثلاث آيات، بل يصل إلى ست آيات مع تغيير طفيف يلائم السياق. وهو:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٠٨ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٩﴾[1]، واقتصر التغيير- برغم التكرار خمس مرات-على﴿أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ﴾[2]و﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾[3]و﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾[4]و﴿أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾[5]، وتقديم آية قبل الأخيرة في موضع واحد، ليتلاءم المقطع مع السياق، وليشيع في التجانس حيوية.

جمال الفاصلة:

يقول محمد الحسناوي[6]:

التقفية في التعبير الفني نظام عربي الأصل، قال بذلك البحاثون العرب والأجانب، ويرجع عباس محمود العقاد في كتابه (اللغة الشاعرة) ذلك (إلى أسباب خاصة لم تتكرر في غير البيئة العربية الأولى، أهمها سببان: هما الغناء المفرد، وبناء اللغة نفسها على الأوزان)[7]، ولا خلاف على جمال التقفية في التعبير الفني، وفي القرآن الكريم بالذات، حيث تبلغ الجمالية حدّ الإعجاز.

---

(1)سورة الشعراء: 105 - 109.

(2)سورة الشعراء: 142.

(3)سورة الشعراء: 160.

(4)سورة الشعراء: 161.

(5)سورة الشعراء: 176.

(6) الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ص165- 284 بتصرف.

(7) اللغة الشاعرة، لعباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة-، دط، 1995م، ص22-23.

بوسعنا أن نتلمس الأبعاد الجمالية للفاصلة من خلال علم الجمال الذي تقوم عناصره على قانونين عامين اثنين: قانون الإيقاع وقانون العلاقات. وقانون الإيقاع بدوره يضمّ سبعة قوانين، يكمل بعضها بعضاً، هي: النظام والتغير والتساوي والتوازي والتلازم والتوازن والتكرار. ومقولة العلاقات في العمل الفني تعني وجود أجزاء متعددة، كما تعني أن الجزء يكتسب جماله من علاقته بما قبله وما بعده. وهذا ما عَكَسَه القانون القديم: وحدة الشتات. فالصورة الجميلة بنية حية، تشتبك وحداتها في علاقات فيما بينها، وهي في مجموعها تؤلف تلك الوحدة التي هي نتاج تلك العلاقات.

1)قانون الإيقاع: أقتصر على ذكر قانونين من أصل سبعة قوانين للتمثيل فقط هما:

أ–النظام: يتجلى هذا في مظاهر شتى، مثل: اطّراد الفاصلة في القرآن كله، اطراداً لا يحوج إلى برهان، ثانيها التزامها الوقف، لا سيما الوقف على السكون، وهو معظم فواصل القرآن، ومألوف الوقف في فواصل القرآن العزيز أن يكون أكثر ما يكون على حرف النون مردوفاً بحروف المدّ واللين، ولا سيما الواو فالياء فالألف، وعدد الفواصل على سكون الروي 4557 وأقلّها فتح الروي 608 من مجموعها في عدّ الكوفيين 6236 آية، وذلك فضلاً عن المردوف في الوقف على الضمائر وهاء السكت.

والمظهر الثالث للنظام افتتاح السور جميعاً– ما عدا سورة (التوبة)– بعبارة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾، أو استهلال عدد من السور بمجموعات من الأحرف: ﴿ق﴾﴿ن﴾﴿حٰم﴾.لا شك بدورها التنبيهي أو الموسيقي المتسق مع ما بعدها أو قبلها، والإيحاء الموسيقي الذي يُحسّ أكثر مما يعبر عنه.

والنظام في العمل الفني، هو الذي يُثير التوقعات أولاً ثم يُشبعها ثانياً. فحين تلتزم فاصلة أو أكثر الواو والنون يتوقع المـــرتّل تكرر هذه الفاصلة من جديد، وحين يتحقق توقعُه يحدث لديه الإشباع، فيتطلع مرة ثانية وهكذا دواليك.

على أن التوقع وإشباع التوقع، أو النظام، أو(السيمترية) ليست وحدها تكفي العمل الفني، لأن استمرارها أو انفرادها ينشئان الرتابة فالملل، ومن الواضح لا توجد مفاجأة أو خيبة ظن لو لم يوجد التوقع، وربما كانت معظم ضروب الإيقاع تتألف من عدد من المفاجآت، ومشاعر التسويف وخيبة الظن لا يقل عن عدد الإشباعات البسيطة المباشرة، وهذا يفسر لنا لماذا سرعان ما يصبح الإيقاع المسرف في البساطة شيئاً مملاً تمجّه النفس، خالياً من الإيقاع والتأثير، ما لم تتدخل فيها حالات من التخدير، كما نجد في الكثير من الرقص والموسيقى البدائيين، وكما هي الحال في الوزن، وهذا ما يفضي بنا إلى قوانين علم الجمال الأخرى، كقانون (التغير).

ب– قانون التغيّر: ويقوم على إحداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجأة السارّة، فإن كان ما يُحدث هذه الصدمة شيء جديد يثير الاهتمام على نحو مؤكد، فإن الأثر الذي يتولد في نفوسنا هو أثر الشيء الطريف، أما إذا لم يوجد ما يعوّض هذه الصدمة، فحينئذ نُحسّ بما في الموضوع من قبح ونقص، وبعبارة مألوفة نقول: إن التأثير يعتمد على ما إذا كانت هناك علاقة تربط بين الأجزاء التي تؤلّف الكل.

الجدير بالذكر:

1 – أن تغير الرويّ في الفاصلة لم يبلغ حدّ الإهمال، مما يؤكد أهمية التقفية في البيان العربي وبيان القرآن الكريم.

2 – وأن أغلب سور القرآن– لاسيما الطوال منها – أخذت بنموذج (التغير) في الفواصل، وأن السور التي وحدت الفاصلة فيها فإحدى عشرة سورة، ذكرناها من قبل.

3 – وأيضا نموذج (التغير) في رويّ الفواصل قسمان: قسم يتغير مقطعاً مقطعاً، وقسم يتغير من دون مقاطع، وفي الآيات[6-9] من سورة الانفطار يتوفر القسمان معاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا

بِغَآبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ والمراد بالمقطع فقرة صوتية مؤلفة من عدة آيات.

4 – وكذلك اتّسع مجال تغير حرف الرويّ في الفواصل، حتى تناول حروف الأبجدية العربية أو معظمها، على تفاوت بينها في النسبة، فحرف النون فاصلة القرآن الأثيرة، فقد بلغ ما جاء عليها ساكنة بعد واو أو ياء(3050)خمسين وثلاثة آلاف فاصلة، منها(1758)ثمان وخمسون وسبع مئة وألف على الواو والنون، و(1291)إحدى وتسعون ومئتان وألف على الياء والنون، بينما لم ترد حروف كالغين إلا مرة واحدة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾﴾[النساء: 63].

5 – ويلاحظ أيضا أنه لم ترد الفواصل المنفردة في أواخر السور وحسب؛ بل وردت في ثنايا السياق أو في البداية. قال تعالى في أول سورة (النصر): ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾، وقال تعالى في سياق سورة (الرحمن): ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾﴾. والملاحظ أن معظم هذه الفواصل المنفردة قد سوّغت انفرادها البنية الداخلية للقرينة التي جاءت فيها. فمثلاً في قوله عزّ وجلّ ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾﴾ ارتكزت الفاصلة ﴿المغربين﴾ على فاصلتها الداخلية ﴿المشرقين﴾، كما كان للتقسيم والتقابل دور آخر، فضلاً عن أن السياق على حرف النون كذلك، وإن كانت نوناً مسبوقة بالألف الممدودة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وقل مثل ذلك في الفواصل الأخر.

وإذا تأملنا القسم الذي يتغير مقطعاً مقطعاً وجدناه ألواناً وأنماطاً، بما يناسب السياق أو يقتضيه:

أ– فقد يكون التغيّر محدوداً في مقطعين أو ثلاثة أو أربعة، كما يكون في مقاطع كثيرة تصل إلى عشرة مقاطع أو أكثر (والمراد بالمقطع فقرة موسيقية مؤلفة من آيات عدة).

ب- وقد يكون التغيّر بسيطاً يتوالى مقطعاً مقطعاً (كمقاطع سورة العاديات)، وهو الغالب، كما يكون مركباً، أي يعرّج على رويّ سابق، وهو الأقل.

ج- وقد يكون التغيّر بمقاطع متقاربة الطول، وغير متقاربة.

د- وقد يكون التغير بمقاطع مختومة بلازمة كمقاطع سورة المرسلات ولازمتها الآية: ﴿ويلٌ يومئذٍ للمُكذّبين ﴾، وغير مختومة بلازمة.

ه- ويغلب على المقاطع الأخيرة في هذا القسم التزام رويّ النون مردوفاً بالواو أو الياء، انسجاماً مع شيوع هذه الفاصلة في القرآن.

و- بالإضافة إلى أن معظم سور هذا القسم –إن لم نقل كلها – سور مكية.

وهذا غير التغير في طول القرينة من فاصلة إلى فاصلة، أو من مقطع إلى مقطع. ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن قانونين من الإيقاع (النظام والتغير) للتمثيل. اهـــ

علاقة الفاصلة بسياقها:

لعلاقة (الفاصلة) بسياقها أنواع: علاقتها بقرينتها(أو الآية) التي وردت فيها، أو المقطع أو السورة، أو حتى الجزء الواحد من القرآن، وبمجموع القرآن الكريم.

النوع الأول: أما علاقة الفاصلة بقرينتها، فقد أطلق عليه القدماء: ائتلاف الفواصل مع ما يدلّ عليه الكلام. قال الزركشي: (اعلم أنّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء بما يشاكله. فلا بدّ أن تكون المناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك. لكن منه ما يظهر، ومنه ما يُستخرج بالتأمّل للبيب)[1]. وقد حصروا هذا (الائتلاف)في أربعة أشياء، هي: التمكين، والتوشيح، والإيغال، والتصدير. الفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول

(1) البرهان ج1 ص78، والإتقان ج2 ص101.

الآية سمّي تصديراً، وإن كان في أثناء الصدر سمّي توشيحاً، وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سمّي إيغالاً، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كلّ منهما، صدرُهُ يدلّ على عجزه. والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية، ودلالة التوشيح معنوية.

أما **التمكين**: هو أن يمهد قبل الفاصلة تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طُرحت اختلّ المعنى، واضطرب الفهم. مثل الخبر الذي أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال: أملى عليّ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[المؤمنون:12-14]، وهنا قال مُعاذ بن جبل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ فضحك رسولُ الله ﷺ ، فقال له معاذ: مَمَّ ضحكتَ يا رسولَ الله؟ قال: بها ختمت[1].[2]

والتصدير: هو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية، ويسمّى(ردّ العجز على الصدر)، وقيل هو ثلاثة أقسام. الأول: توافق آخر آية وآخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى:﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[النساء: 165]، والثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران:8]، والثالث: أن يوافق بعض كلماته، نحو: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنعام : 10].

والتوشيح: سمّي بهذا الاسم لأن الكلام نفسه يدلّ على آخره، نُزّل المعنى منزلة الوشاح، ونُزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذين يجول عليهما الوشاح، ولهذا قيل فيه: إن

(1)جاء في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج7 ص 72: أن الحديث (رواه الطبراني في معجمه الأوسط ج5 ص 382 حديث رقم: 5624. وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(2) الإتقان ج2 ص101.

الفاصلة تُعلم قبل ذكرها. وسمّاه بعض العلماء (المطمع)، لأن صدره مطمع في عجزه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[آل عمران:33]، فإن اصطفاء المذكورين يُعلم منه الفاصلة، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين. وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾[يس:37]، فإنه من كان حافظاً لهذه السورة، مُتيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردوفة، وسمع في صدر هذه الآية: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ علم أن الفاصلة ﴿مُظلمون﴾، فإنَ من انسلخَ النهارُ عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال[1].

والإيغال: سمّي بذلك، لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحدّ، كقوله تعالى:﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:50]، فإن الكلام قد تمّ بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائداً. [2]

النوع الثاني: علاقة الفاصلة بالمقطع: قال محمد الحسناوي[3]:

"وهناك علاقة الفاصلة بالمقطع (مجموعة آيات) الذي وردت فيه، وهي على أنواع:

الأول: علاقة التقسيم أو القفل أو الختام على شكل من الأشكال، ونجد له أمثلة في تكرار (اللازمات): ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات)، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر). ونمثل له الآن ﴿مُختلفون﴾. الأول من سورة (النبأ)، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾. فالآيات الأولى تعرض لتساؤل المتسائلين عن(يوم القيامة) واختلافهم فيه بين مكذّب ومستغربٍ ومتردّد وغير ذلك،

(1) البرهان ج1 ص95، والإتقان ج2 ص104.

(2) البرهان ج1 ص96- 97، والإتقان: ج2 ص74.

(3) الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ص292-294 بتصرف.

فجاءت خاتمة هذا اللغو: ﴿سيعلمون﴾. و التعليم مقرون بالتأديب للمُنكِر فحسُنَ التوبيخ بـــ ﴿كلا﴾: ﴿كلا سيعلمون﴾، وبتوكيد هذا التوبيخ.

الثاني: علاقة إيقاع موسيقي، يقتضيه السياق: نمثل له من سورة (مريم) التي لاءم القصُّ فيها التزام رويّ (يا): (زكريّا، حفيًا، شقيّا،..)في المقطع الأول، ولاءمت الواو والنون سياق الجدل في المقطع الثاني: (يَمترون، فيكون)، ثم عاد القصُّ في المقطع التالي عاد الرويّ (يا): (نبيّا، شيئا). وكذلك الحال في سور (آل عمران)، (النبأ)، (النازعات).

النوع الثالث: علاقة الفاصلة بالسورة– وهي ما أطلق عليه القدماء (خواتم السور) – وهي على أضرب.

الأول: تعلّق فاصلة آخر السورة بمضمون السورة أو بغرضها العام، كخواتم سورة(المرسلات) و(الضحى) و(العاديات) و(الكافرون) و(الانفطار). فسورة (المرسلات) اتجهت إلى إقناع المكذبين مقطعاً بعد مقطع، وحجةً بعد حجة، معقبة على كل مقطع أو حجة بآية: ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، ولما استكملت غرضها العام كانت الخاتمة: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ۝﴾. أما سورة (الكافرون) التي اهتمت بإبراز المُفارقة بين المؤمنين والكافرين، رداً على العرض الذي تقدّموا به إلى الرسول، للاتفاق على عبادة الله تعالى الذي يدعو إليه الرسول، يوماً أو شهراً أو سنة، ثم عبادة أصنامهم – والعياذ بالله – مثل ذلك، فكانت الخاتمة الحاسمة: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

الثاني: تعلق الفاصلة الأخيرة بفواتحها، أي ردّ عجز السورة على صدرها، كما في سورة(المؤمنون) و(ص) و(القلم). ففي صدر سورة(ص~) قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي

ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾[1]، وفي خاتمتها: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ۝٨٨﴾، وقريب منه في السورتين الأخريين.

الثالث: تعلق الفاصلة موسيقياً بجوّ السورة، وهذا ما يبدو جلياً في السور الإحدى عشرة، ذوات الرويّ الموحّد (المتماثل)، وقريب منها السور ذوات الرويّ المتقارب، لاسيما (الفاتحة) و(يونس) و(المؤمنون) و(الدخان) و (القلم) و(المُطفّفين) و(التين) و(الماعون).

النوع الرابع: وأخيراً تعلّق الفواصل موسيقياً بمجموع القرآن، من وجهين: الأول غلبة فواصل النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء. الثاني: غلبة الوقف على السكون على سائر الفواصل الأخرى، حتى إن القارئ الشادي يستطيع أن يميز التعبير القرآني بواحدة من هاتين الظاهرتين أو بهما معاً، بالإضافة إلى مزايا التعبير القرآني الأخرى. ولا تقلّ عن هاتين الظاهرتين ظاهرة ثالثة، وهي اطّراد الفاصلة في سور القرآن وآياته جميعاً.

هذا وإن باب العلاقات واسع سعة باب الدلالات، نكتفي منه بهذا القدر، ونحيل من يحب الاستزادة إلى مطالعة هذا السفر الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، والذي لا حدَّ لجمالِه ودقّة إحكامه، وسيرتّل معنا بإمعان: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾[النساء: 81]."اهـ

(1)سورة ص:1.

رابعا: الإيقـــــاع:

لغـــــة:

"قال بعض المتفلسفين المهرة باللُّحون وأراه الموصليّ أنه قال الإِيقاع: حركات متساوية الأدوار لها عَوْدات متوالية ..."[1]

"الإيقاع من إيقاع ألحان الغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها تبيينا، هكذا هو في اللسان والعباب، وفي بعض النسخ ويبنيها من البناء، وسمى الخليل رحمه الله تعالى كتابا من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع"[2] .

اصطلاحا:

(الإيقاع) هو التواتر والتتابع بين كل متقابلين في عالم المحسوسات، بل وفي عالم المعنويات.

وهو في عالم اللغة توالي الصّوائت والصّوامت وانتظامها واطّرادها على نسق خاص، فأساسه كما يقول أهل العلم رجوع الظاهرة الصوتية على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة.[3] لكن المقصود بالايقاع هنا ايقاع الفواصل عند اتحاد صوتها متماثلة ومتقاربة وهو ما يطلق عليه بعض المفسرين: المناسبة الصوتية، والمشاكلة الصوتية.

---

(1) المخصص لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1417هـ 1996م، تح: خليل إبراهيم جفال، ط1، ج4 ص9.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (و ق ع) ج22، ص 359.

(3) العزفُ على أنوار الذِّكر((معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق ال))، إعداد: محمود توفيق محمد سعد، ط1، 1424هـ، نشر مكتبة وهبة- عابدين- القاهرة، ص220.

خامسا: المعنى:

لغـــــة:

قال ابن سيده: "معنى كل كلام ومعناته ومعنيته مقصده"[1]

وذكر الفيومي: "قال أبو حاتم: وتقول العامة "لأي معنى فعلت" والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تكلم به، نعم قال بعض العرب: ما "معني" هذا؟ بكسر النون وتشديد الياء، وقال أبو زيد: هذا في "معناه" ذاك وفي "معناه" سواء أي في مماثلته ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابي أيضا، و"معنى" الشيء، و"معناته" واحد، و"معناه"، و"فحواه ومقتضاه ومضمونه" كله هو ما يدل عليه اللفظ، وفي التهذيب عن ثعلب: "المعنى والتفسير والتأويل" واحد وقد استعمل الناس قولهم: وهذا "معنى" كلامه وشبهه ويريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول أبي زيد والفارابي وأجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها وهي قولهم هذا "بمعنى" هذا وهذا، وهذا في "المعنى" واحد وفي "المعنى" سواء، وهذا في "معنى" هذا أي مماثل له أو مشابهه. "[2].

وفي تاج العروس: "عنى (بالقول كذا) يعني: (أراد) وقصد ؛ قال الزمخشري: ومنه المعني.

(ومعنى الكلام ومعنيه)، بكسر النون مع تشديد الياء، (ومعناته ومعنيته واحد) أي فحواه ومقصده، والاسم العناء.

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، نشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 2000م، مكان النشر بيروت، ج2 ص247.

(2) المصباح المنير للفيومي المقري، أحمد بن محمد بن علي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، دط، دس، ص224- 225.

وفي الصِّحاح[1]:تقول: عرفت ذلك في معنى كلامه وفي معناة كلامه وفي معني كلامه: أي في فحواه، انتهى.

وفي معنيته، ذكره ابن سيده[2]

وقالَ الأزْهري[3]:معنى كل شيء محنته وحاله التي يصير إليها أمره.

وقالَ الراغبُ[4]:المعنى إظهار ما تضمنه اللفظ.

ويجمع المعنى على المعاني وينسب إليه فيقال المعنوي، وهو ما لا يكون للسان فيه حظو، إنما هو معنى يعرف بالقلب.

وقالَ المناوِي في التوقيف[5]:المعاني هي الصور الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ والصورة الحاصلة من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى معنى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوما، ومن حيث أنها مقولة في جواب ما هو تسمى ماهية ، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية.

وقالَ أَيْضاً: علم المعاني علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[6].

(1) الصحاح؛ للجوهري. ج7 ص 290.

(2) المحكم والمحيط الأعظم، ج2 ص247.

(3) تهذيب اللغة، للأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تح: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت- 2001م، ط 1، ج3 ص 135 .

(4) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، نشر دار العلم الدار الشامية، - دمشق ـــ بيروت، 1412 هـــ، تح: صفوان عدنان داودي، ج1 ص 591.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي محمد عبد الرؤوف، تح: د. محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، ودار الفكر - بيروت، دمشق، ط1،، 1410، ج1 ص 664.

(6) تاج العروس من جواهر القاموس، ج39 ص122- 124.

وفي البلاغة العربية:

يقول الجرجاني: "هي أن تقولَ المعنى ومعنى المعنى، تعني **بالمعنى** المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ، والذي تصِلُ إليه بغيرِ واسِطَة، و**بمعنى المعنى** أن تعقِلَ من اللفظِ معنًى، ثم يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ كالذي فسَّرتُ لك"[1].

وقولهم: "**معنى المعنى** أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني"[2]. فالمعنى بمثابة الظل للفظ.

(1) دلائل الإعجاز، تح: د. التنجي، نشر دار الكتاب العربي، سنة النشر 1415هـ 1995م، مكان النشر بيروت، ص203- 204.

(2) البرهان للزركشي، ج2 ص174.

الفصل الثاني :

مغايرة الأنساق في الفاصلة القرآنية

- المبحث الأول: من مغايرات الأنساق في الفاصلة.
- المبحث الثاني: التغاير بالتقديم والتأخير.
- المبحث الثالث: التغاير بالحذف والزيادة.

إن المتتبع لتراكيب القرآن يجد نفسه أمام أنساق متنوعة متغايرة تارة بالحذف والزيادة وتارة بالتقديم والتأخير حتى أنك ترى التعبير الواحد سيق على أوجه عدة قلِّب فيها الكلام لم تكن عبثا بل هي من صميم الإعجاز لأنها لا تتفق لأي كان، وقد لاحظ العلماء ذلك فبينوه في كتبهم وبينوا أسبابه.

قال السيوطي في الإتقان[1]:

"ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه إحكام الراي في أحكام الآي قال فيه:

اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما.

أحدها: تقديم المعمول إما على العامل نحو:﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا﴾[2] قيل ومنه:﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] أو على معمول آخر أصله التقديم نحو:﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[4] إذا أعربنا "الكبرى" مفعول "نري" أو على الفاعل نحو:﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[5] ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو:﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[6].

الثاني: تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾[7] ولولا مراعاة الفواصل "لقدمت" "الأولى" كقوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾[8].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن ، ج3 ص339- 345.

(2)سورة سبأ: 40.

(3)سورة الفاتحة: 5.

(4)سورة طه: 23.

(5)سورة القمر: 41.

(6)سورة الإخلاص: 4.

(7)سورة النجم: 25.

(8)سورة القصص: 70.

الثالث: تقديم الفاضل على الأفضل نحو: ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[1] وتقدم ما فيه.

الرابع: تقديم الضمير على ما يفسره نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[2].

الخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو:﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[3].

السادس: حذف ياء المنقوص المعرف نحو:﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[4]، ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾[5].

السابع: حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[6].

الثامن: حذف ياء الإضافة نحو: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[7] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[8].

التاسع: زيادة حرف المد نحو ﴿الظُّنُونَا﴾[9] و ﴿الرَّسُولَا﴾[10] و﴿وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾[11] ومنه إبقاؤه مع الجازم نحو:﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾[12]﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[13] على القول بأنه نهي.

---

(1)سورة طه: 70.

(2)سورة طه: 67.

(3)سورة الإسراء: 13.

(4)سورة الرعد:9.

(5)سورة غافر:32.

(6)سورة الفجر: 4.

(7)سورة القمر: 16.

(8)سورة الرعد: 32.

(9)سورة الأحزاب: 10.

(10)سورة الأحزاب: 66.

(11)سورة الأحزاب: 67.

(12)سورة طه: 77.

(13)سورة الأعلى: 6.

العاشر: صرف مالا ينصرف نحو: ﴿قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ﴾[1] .

الحادي عشر: إيثار تذكير اسم الجنس كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[2] .

الثاني عشر: إيثار تأنيثه نحو:﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[3] ونظير هذين قوله في القمر:﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[4] وفي الكهف:﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[5].

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك كقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[6] و لم يجئ "رشد" في السبع وكذا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[7] لأن الفواصل في السورتين محركة الوسط وقد جاء في ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾[8] وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم ونظير ذلك قراءة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[9] بفتح الهاء وسكونها و لم يقرأ ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾[10] إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة.

الرابع عشر: إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الإسمية والفعلية كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[11] لم يطابق بين قولهم: "آمنا" وبين ما ورد به فيقول و"لم يؤمنوا" أو "ما آمنوا" لذلك.

---

(1)سورة الإنسان: 15 ، 16.

(2)سورة القمر: 20.

(3)سورة الحاقة: 7.

(4)سورة القمر: 53.

(5)سورة الكهف: 49.

(6)سورة الجن: 14.

(7)سورة الكهف: 10.

(8)سورة الأعراف: 146.

(9)سورة المسد: 1.

(10)سورة المسد: 3 .

(11)سورة البقرة: 8 .

الخامس عشر: إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1] و لم يقل: "الذين كذبوا".

السادس عشر: إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2].

السابع عشر: إيثار أغرب اللفظتين نحو: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[3] و لم يقل "جائرة" ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾[4] و لم يقل "جهنم" أو النار وقال في المدثر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[5] وفي سأل ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾[6] وفي القارعة ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَهْ﴾[7] لمراعاة فواصل كل سورة.

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[8] وفي سورة طه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[9].

التاسع عشر: حذف المفعول نحو:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[10] ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[11] ومنه حذف متعلق "أفعل التفضيل" نحو:﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[12] ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[13].

---

(1)سورة العنكبوت: 3 .
(2)سورة البقرة: 177 .
(3)سورة النجم: 22 .
(4)سورة الهمزة: 4 .
(5)سورة المدثر: 26.
(6)سورة المعارج: 15 .
(7)سورة القارعة: 9.
(8)سورة إبراهيم: 52 .
(9)سورة طه: 54.
(10)سورة الليل: 5 .
(11)سورة الضحى: 3.
(12)سورة طه: 7 .
(13)سورة الأعلى: 17 .

العشرون: الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[1].

الحادي والعشرون: الاستغناء به عن الجمع نحو: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾[2] و لم يقل: "أئمة" كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾[3] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[4] أي أنهار.

الثاني والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[5] قال الفراء أراد "جنة" كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[6] فثنى لأجل الفاصلة: قال والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام ونظير ذلك قول الفراء في قوله تعالى:﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[7] فإنهما رجلان قدار وآخر معه و لم يقل "أشقياها" للفاصلة، وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال إنما يجوز في رءوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف فأما أن يكون الله وعد بجنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآي معاذ الله! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[8] ثم قال: ﴿فِيهِمَا﴾[9] وأما ابن الصائغ فإنه نقل عن الفراء أنه أراد "جنات" فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة ثم قال وهذا غير بعيد قال وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو **الثالث والعشرون**-أي: الاستغناء بالتثنية عن الجمع-.

---

(1)سورة طه: 117 .
(2)سورة الفرقان: 74 .
(3)سورة الأنبياء: 73 .
(4)سورة القمر: 54 .
(5)سورة الرحمن: 46 .
(6)سورة النازعات: 41 .
(7)سورة الشمس: 12 .
(8)سورة الرحمن: 48 .
(9)سورة الرحمن: 50 .

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الإفراد نحو: ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[1] أي ولا خلة كما في الآية الأخرى وجمع مراعاة للفاصلة.

الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[2] ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3].

السادس والعشرون: إمالة ما لا يمال كآي طه والنجم.

السابع والعشرون: الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك في نحو: هو القادر وعالم الغيب ومنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[4].

الثامن والعشرون: إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[5] أوثر على "عجيب" لذلك.

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[6].

الثلاثون: إيقاع الظاهر موضع المضمر نحو: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[7] وكذا آية الكهف.

الحادي والثلاثون: وقوع "مفعول" موقع "فاعل" كقوله: ﴿حِجَاباً مَسْتُوراً﴾[8] ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[9] أي ساترا وآتيا.

---

(1)سورة إبراهيم: 31 .
(2)سورة يوسف: 4.
(3)سورة يس: 40.
(4)سورة مريم: 64.
(5)سورة ص: 5.
(6)سورة طه: 129.
(7)سورة الأعراف: 170.
(8)سورة الإسراء: 45.
(9)سورة مريم: 61.

الثاني والثلاثون: وقوع "فاعل" موقع "مفعول" نحو:﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[1]﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[2]

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة نحو:﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى* فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[3] إن أعرب "أحوى" صفة "المرعى" أي حالا.

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره نحو: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[4] والأصل "إليها".

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ ومنه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[5] ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[6] لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾[7].

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت نحو: ﴿ما ليه﴾ ﴿سُلْطَانِيَهْ﴾[8]،﴿ماهيه﴾[9].

الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات نحو: ﴿لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾[10] فإن الأحسن الفصل بينها إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير "تبيعا".

---

(1)سورة الحاقة: 21.
(2)سورة الطارق: 6.
(3)سورة الأعلى: 4 ، 5.
(4)سورة الزلزلة: 5.
(5)سورة الفاتحة: 1.
(6)سورة التوبة: 117.
(7)سورة الليل: 19.
(8)سورة الحاقة: 28 ، 29.
(9)سورة القارعة: 10.
(10)سورة الإسراء: 69.

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال نحو: ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[1] والأصل "قتلتم".

الأربعون: تغيير بنية الكلمة نحو: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[2] والأصل "سينا".

تنبيه: قال ابن الصائغ لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه".

هذه أهم المغايرات التي نص عليها أهل الرسوخ من علماء القرآن وتناقلوها في كتبهم على سبيل الحصر وتركوا لمن أتى بعدهم عهدة استخراج أسرارها.

(1)سورة البقرة: 87.

(2)سورة التين: 2.

المبحث الثاني:

التغاير بالتقديم والتأخير:

مدخل: مقتضيات التقديم والتأخير بين أفراد الكلام.

❖ **المطلب** الأول: التقديم والتأخير بين المتعاطفات.

❖ المطلب الثاني: التقديم والتأخير بين الصفات.

❖ المطلب الثالث: تقديم وتأخير، الجار والمجرور مع متعلقه.

قال عبد القاهر:

(وقد وقعَ في ظنونِ الناسِ أنه يكفي أن يقالَ: إنه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكرَه أهمُّ، من غير أن يُذْكرَ مِن أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كان أهمَّ؟ ولتخيُّلهم ذلك قد صغُر أمرُ التقديمِ والتأخيرِ في نفوسهم، وهوَّنوا الخطبَ فيه. حتى إنك لترى أكثرَهُم يرى تتبُّعَه، والنظرَ فيه ضربا من التكلُّف. و لم تَر ظنّا أزرى على صاحبهِ من هذا وشبهِهِ)[1].

التقديم والتأخير: وهو تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، وله أسباب، منها[2]:

1- أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ﴾[3]، فإنه لو أخر مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فلا يفهم أنه منهم.

2- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة، كقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4]، بتقديم (إياه) على تَعْبُدُونَ لمشاكلة رؤوس الآي.

3-لعظمه واهتماماً به، كقوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾[5]، فبدأ بالصلاة لأنها أهم.

4- أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ﴾[6]، بتقديم المجرور على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل للّه لا إلى مطلق الجعل.

---

(1) دلائل الإعجاز، ص98.

(2) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الإبيارى، نشر مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ، ج 3، ص51-56، بتصرف.

(3)سورة غافر:28.

(4)سورة فصلت:27.

(5)سورة البقرة:43.

(6)سورة الأنعام:100.

5- أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجب من حال المذكور، كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ﴾[1]، والأصل «الجن شركاء» وقدم لأن المقصود التوبيخ، وتقديم (الشركاء) أبلغ في حصوله.

6-الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[2]، أي نختصك بالعبادة، فلا نعبد غيرك. وهو إما:

- أن يقدم والمعنى عليه: ومقتضياته كثيرة، منها:

1 - السبق، وهو أقسام:

(أ) السبق بالزمان والإيجاد، كقوله تعالى:﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ﴾[3]، والمراد: الذين اتبعوه في زمن.

(ب) سبق إنزال، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الإِنْجِيلِ﴾[4].

(ج) سبق وجوب، كقوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[5].

(د) سبق تتريه، كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾[6]، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم بدأب الإيمان باللّه، لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع.

---

(1)سورة الأنعام: 100.

(2)فاتحة الكتاب:5.

(3)سورة آل عمران: 68.

(4)سورة الأعراف:157.

(5)سورة الحج:77.

(6)سورة البقرة: 280.

2 – بالذات، كقوله تعالى:﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[1] وكذلك جميع الأعداد، كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات.

3 – بالعلة والسببية، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة.

4 – بالمرتبة، كقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]، فإن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

5 – بالداعية، كتقدم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[4]، لأن البصر داعية إلى الفرج، بقوله ﷺ: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»[5].

6 – التعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ﴾[6].

7 – الشرف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ﴾[7]، لشرف الذكورة. والشرف أنواع: شرف الحرية، شرف الفعل، شرف الإيمان، شرف العلم، شرف الحياة، شرف المعلوم، شرف الإدراك، شرف المجازاة، شرف العموم، شرف الإباحة، الشرف بالفضيلة، وكل هذا له شواهده من القرآن الكريم.

8 – الغلبة والكثرة، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[8]، قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق.

---

(1)سورة الكهف: 22.

(2)سورة الفاتحة: 5.

(3)سورة البقرة: 173.

(4)سورة النور: 30.

(5)أخرجه أحمد في المسند برقم: 8520، ج2 ص344 .

(6)سورة النساء: 69.

(7)سورة الأحزاب: 35.

(8)سورة فاطر: 32.

9 – سبق ما يقتضي تقديمه، وهو دلالة السياق، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[1]، لما كان إسراحها وهي خماص، وإراحتها وهي بطان، قدم الإراحة، لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

10 – مراعاة اشتقاق اللفظ، كقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[2].

11 – الحث عليه خيفة من التهاون به، كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين، في قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ﴾[3]، فإن وفاء الدين سابق على الوصية، لكن قدم الوصية لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها بخلاف الدين.

12–لتحقق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصوره، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ [4].

13 – الاهتمام عند المخاطب، كقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها﴾[5].

14 – للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ﴾[6]، على القول بأن اللّه في موضع المفعول الثاني لـــ«جعل» وشركاء، مفعول أول. ويكون «الجن» في كلام ثان مقدر، كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء؟ قيل: الجن. وهذا يقتضى وقوع الإنكار على جعلهم «للّه شركاء» على الإطلاق، فيدخل بشركة غير الجن، ولو أخر فقيل: وجعلوا الجن شركاء للّه، وكان الجن مفعولا أولا وشركاء ثانيا، فتكون الشركة مقيدة غير مطلقة، لأنه جرى على الجن، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة، وليس كذلك.

---

(1)سورة النحل: 6.

(2)سورة المدثر: 37.

(3)سورة النساء: 11.

(4)سورة مريم: 96.

(5)سورة النساء: 86.

(6)سورة الأنعام: 100.

15 – للتنبيه على أن السبب مرتب، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[1]، قدم الجباه ثم الجنوب، لأن مانع الصدقة كان يصرف وجهه أولا عن السائل. ثم ينأى بجنبه، ثم يتولى بظهره.

16 – التنقل، وهو أنواع :

(أ)إما من الأقرب إلى الأبعد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلافِي السَّماءِ﴾[2]، لقصد الترقي.

(ب)وإما من الأبعد إلى الأقرب، كقوله تعالى:﴿إِنَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

(ح)وإما من الأعلى، كقوله تعالى:﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾[4].

(د)وإما من الأدنى، كقوله تعالى: ﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾[5].

17 – الترقي، كقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها﴾[6]، فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقي، لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث، فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول، فهو أشرف منه.

18 – مراعاة الإفراد، فإن المفرد سابق على الجمع، كقوله تعالى: ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ﴾[7].

19 – التحذير منه والتنفير منه، كقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[8]، قرن الزنى بالشرك وقدمه.

---

(1)سورة التوبة: 35.

(2)سورة آل عمران: 5.

(3)سورة الجاثية: 3.

(4)سورة آل عمران: 18.

(5)سورة الكهف: 49.

(6)سورة الأعراف: 195.

(7)سورة الكهف: 46.

(8)سورة النور: 3.

20 – التخويف منه، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1].

21 – التعجب من شأنه، كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[2]، قدم الجبال على الطير، لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان ناطق.

22 – كونه أدل على القدرة، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ﴾[3].

23 – قصد الترتيب، كما في آية الوضوء[4]، فان إدخال المسح بين الغسلين، وقطع النظير عن النظير، مع مراعاة ذلك في لسانهم، دليل على قصد الترتيب.

24 –خفة اللفظة، كتقديم الإنس على الجن، فالإنس أخف، لمكان النون والسين المهموسة.

25 – رعاية الفواصل، كتأخير الغفور في قوله تعالى: ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[5].

- أن يقدم وهو في المعنى مؤخر. فمنه:

1 – ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم المفعول على الفاعل في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[6].

2 – ما يدل على المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها﴾[7]، فهذا أول القصة، وإن كانت مؤخرة في التلاوة.

- ما قدم في آية وأخِّر في أخرى.

---

(1)سورة هود: 105.

(2)سورة الأنبياء: 79.

(3)سورة النور: 45.

(4)سورة المائدة: 6.

(5)سورة الحج: 60.

(6)سورة فاطر: 28.

(7)سورة البقرة:72.

فمن ذلك: قوله تعالى في فاتحة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾[1].

ومن أنواعه:

1 – أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها، لقصد أن يقع البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾[2].

2 – أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر، واللفظ واحد والقصة واحدة للتفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أسباب، كما في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً﴾[4].

فهذا مدخل للتقديم والتأخير وبيان مقتضياته، والمطلب الآتي فهو مخصص فقط للتقديم والتأخير بين المتعاطفات وهو دراسة تطبيقية.

(1)سورة الجاثية: 36.

(2)سورة آل عمران: 106.

(3)سورة البقرة: 58.

(4)سورة الأعراف: 161.

المطلب الأول:

التقديم والتأخير بين

المتعاطفات.

ففي سورة الفاتحة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]

فوجد بعض أهل العلم في تناسب الفواصل السبب في العدول عن الأصل، بل عدوا هذه الآية دليلا على قصد القرآن إلى السجع وتغيير نسق الكلام من أجله[2].

وأما الزمخشري فتنبه أن التقديم لسر يتعلق بأغراض النظم قال: "فإن قلت: لم قدمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة عليها"[3].

أضاف أبو السعود: "أن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المُستعين"[4]، فالتقديم على رأي الزمخشري من تقديم العلة على المعلول، وعلى رأي أبي السعود من تقديم الأشرف والأولى.

ويرى البيضاوي أن ذكر الاستعانة بعد العبادة من باب التكميل والاحتراس، فقال: "لما نسب المتكلم العبادة لنفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه، فعقبه بـــ:﴿وإياك نستعين﴾ ليدل على أن العبادة أيضا مما لا يتم ولا يستتب إلا بمعونة منه وتوفيق"[5].

وعلق الشهاب على قول البيضاوي: "فجاء تقديم العبادة على الاستعانة ليوافق ترتيب الألفاظ ترتيب معانيها، فيرشد الترتيب الذكري للترتيب الخارجي"[6].

---

(1)سورة الفاتحة: 4

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، نشر المكتبة العصرية – بيروت- 1995، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ج2 ص36 ، و البرهان ج1 ص63.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشرى، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، نشر دار الكتاب العربي ــ بيروت- 1407 هـــ، ج1 ص65.

(4) تفسير أبي السعود -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج1 ص17.

(5) تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، نشر دار الفكر– بيروت–، ج1 ص63.

(6) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي- المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، نشر دار صادر ــ بيروت ج1 ص121.

والخازن في أحد الوجوه التي ذكرها لمس هذا المعنى بقوله: "إن الاستعانة نوع تعبد، فكأنه ذكر جملة العبادة أولا، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها"[1].

ويقول الطاهر بن عاشور(ت1393هـ): "العبادة تقرب للخالق تعالى، فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك"[2]، وفي الحديث (الدعاء هو العبادة)[3].

فدل عليه السلام بهذا الحصر على فضله وشرفه على سائر العبادات. وعلى ذلك فالترتيب جاء في الآية على الأصل من عطف الخاص على العام.

في سورة آل عمران:

قوله تعالى حكاية عمّا دار بين زكريا عليه السلام وربه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[4].

فقدم العشي، وعكس ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[5].

يقول محمد محمد عبد العليم دسوقي: "والمتأمل للسياقات التي قُدم فيها لفظ (العشيّ) على الإبكار كما في حق زكريا عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[آل عمران:41]، وقوله في مخاطبة نبيه محمد ﷺ قبل هجرته إلى مكة:﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[غافر:55]، يبصر بضميمة ما جاء في قوله سبحانه في حق

---

(1) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1415 هـ، تح: محمد على شاهين، ج1 ص 20.

(2) التحرير والتنوير-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، نشر الدار التونسية للنشر– تونس-، 1984هـ، ج1 ص186.

(3)أخرجه البخاري الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار البشائر الإسلامية–بيروت، ط3، 1409-1989، برقم (714) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ص 249.

(4)سورة آل عمران: 41

(5)سورة مريم: 10-11

داود عليه السلام:﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[ص: 18]، أن الإبكار يدقُّ جعله وصفاً لأول النهار من بعد طلوع الشمس لا الفجر، كما يرمق أن في اصطفاء مفردة (الإبكار)، وفي تقديم (العشيّ) عليها ما يصور حال الأمم السابقة المستضعفة وما كانت عليه من تلبس بالعبادة المفروضة، وكذا ما كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام قبل فرض الصلوات الخمس وقبل الجهر بالدعوة والصدع بها.

ونعلم أنه ﷺ قد أمر بأن يقتدي بالأنبياء من قبله وأن يعبد الله بالكيفية التي كانوا يعبدونه سبحانه بها، وصلاة ركعتين في آخر النهار ومثلهما بأوله هو الأوفق لحال أولئك الأوائل الذين صدّقوا بدعوة النبي ﷺ في صدر الإسلام فقد كان معظمهم خليط من الفقراء والضعفاء والأرقاء وليس بوسعهم مجابهة قوى الكفر المتعصبة لشركها ووثنيتها، بل ولا إظهار شعائر الدين الذي آمنت به، ولقد بلغ الضعف بهذه الثلّة المؤمنة التي آمنت بالنبي محمد ﷺ في بداية الأمر أنه إذا أراد أحدهم فعل عبادة من العبادات التي كُلف بها ذهب إلى شعاب مكة يستخفي فيها من عيون قريش.. فمع انشغال أهل الكفر في أول هذين الوقتين بجلب الرزق والسعي على المعاش، وخلودهم في آخرهما للدعة والراحة بعد عناء يوم كامل من العمل، يمكن لأولئك المستضعفين أن يمارسوا بشيء من الحرية والبعد عن الضغط والتعرض للأذى، ما كلفوا به من قِبل ربهم وما تعلموه من نبيهم .. والبدء بالعشي أقدر على تصوير هذه الفترة، وأبلغ في بيان حالتي الإخفاء والهمس اللذين كانوا عليهما أثناء تأدية ما كلفوا به من صلاة، وترديد ما كان يترل على نبيهم ﷺ من آي الذكر الحكيم.

ولا يبعد أن يكون حال زكريا عليه السلام مع مناوئيه من اليهود شبيهاً بحال أولئك الصحب الكرام مع كفار مكة، فيكون في هذا أيضا الوجه في البدء بالعشيّ"[1].

وعلى نحو ما جاء الترتيب في تقديم العشيّ في حال الاستضعاف والخوف- أعني على الوجه الذي تراءى لنا- متناغماً مع سياق الآيات التي قدمت فيها ومع نظمها.. يجيئ الترتيب كذلك في تقديم المقابل للعشيّ عندما يُزال ذلك ويُستشعر بدلاً عنه معاني الأمن والقوة، والأمان والكثرة. ولعلك تجد صدى هذا في حديث القرآن عن أهل الجنة وتحديداً في قوله

(1) من بلاغة القرآن فى التعبير بالغدو والأصال والعشي والإبكار، للدكتور محمد محمد عبد العليم دسوقي، نشر دار الكتب، ط1، 2003م، ص20-28.

سبحانه عنهم:﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 62]، وفي حديثه عما كان من أمر زكريا عليه السلام عندما ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11]، وفي حديثه عن أهل الإيمان بعد أن مكّن الله لهم وذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[الأحزاب:41، 42].

فقد أضحى الذين زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة في مأمن من عناء الدنيا ومن عذاب جهنم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء: 102، 103] ، وأضحى زكريا عليه السلام في مأمن عن أعين الرقباء والأعداء، وفي منعة من قومه الذين "كانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخله ويصلوا"[1]، كما تغير حال المؤمنين في المدينة بعد أن تهيأ لهم المجتمع الآمن المستقر، وبعد أن أذهب الله عنهم ما كان بهم من ضعف وصاروا ذوي بأس شديد ومنعة، ويمكن لك أن تستكنه هذه المعاني وتستشعر أنفة العظمة والعزة التي انخلعت على الصحب الكرام، وأنت تقارن ما جاء في آية الأحزاب بما جاء في قوله سبحانه عنهم:﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[الأنفال:26].

الأمر الذي يؤكد على أنه حتى عندما يكون أمر تقديم كلمة على كلمة متعلقاً بما ذكره العلوي في الطراز تحت باب (ما يجوز تقديمه ولو لم يفسد معناه).

ولعل السر في هذه المغايرة استدعاه تغيير الخطاب وذلك أن المأمور بالتسبيح في سورة آل عمران هو زكريا عليه السلام، والمأمور بالتسبيح في سورة مريم هو من أرسل إليهم زكريا عليه السلام، وبين الخطابين والمقامين يختلف ترتيب النظم، فزكريا عليه السلام قدم معه العشى، وتسبيحه فيه يكون تابعا لقيام الليل، والانقطاع إلى الله تعالى في هذا الوقت يصعب على غير المقربين، ولذا أمر النبي عليه السلام بقيام الليل، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] وقوله:

(1) تفسير أبي السعود، ج5، ص258.

(2)سورة المزمل: 1-2.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[1] فنبه إلى أن العبادة بالليل أشد، ولا يواصلها إلا أصحاب العزائم، أما غير الأنبياء والمقربين فإن جل تسبيحهم وصلاتهم بالنهار، على قدر ما يطيقه عامة المؤمنين، لذا قدم ما هو الغالب على عادة الناس في خطاب زكريا عليه السلام لقومه والله أعلم.

في سورة طه:

- **قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾** [2]

في معظم المواطن التي اقترنت فيها السماء بالأرض جاءت على أصل الكلام، من تقدم السماء إلا بعض المواضع القليلة التي تقدمت فيها الأرض، فقيل إن تقديمها لغرض تحقيق السجع.

وقد تتبعت هذه المواضع فوجدت الأرض تقدمت على السماء في ثلاثة عشر موضعا لا يوجد بينها سوى موضعين وقعت السماء فيهما فاصلة، وموضع واحد وقعت فيه موطئة للفاصلة.

فإذا أخذنا بالقول الذي يعتبر التقديم فيها لمجرد رعاية الفواصل أو السجع، فإن عشرة مواضع تقدمت فيها الأرض وليست فاصلة يصبح تقديمها عاريا من الفائدة، ولا يصح هذا في كلام معجز.

على أن أحد الموضعين اللذين وقعت فيهما السماء فاصلة جاءت فاصلته بين فواصل متغايرة الروي والوزن، وذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي

(1)سورة المزمل: 6-7

(2)سورة طه: 4.

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1)

فالفواصل: «الإنجيل» و«انتقام» و«السماء» و«الحكيم» لم تتفق فيها اثنتان في حرف الروي، وتغاير الردف فيها بالواو والياء والألف.

ثم قدمت السموات على الأرض في قوله تعالى من نفس السورة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (2)

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (3)

فقال عامة علماء القرآن إن تقديمها لغرض تحقيق السجع؛ حين خفي سر التقديم.

مع أن أسباب التقديم متعددة قد أشار إلى بعضها السهيلي مركزا عليها في قوله: (ما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقديم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما الزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال، فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها، سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، نعم وربما كان ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والثقل، لا بحسب المعنى، كقولهم: ربيعة ومضر، وكان تقديم مضر أولى من جهة الفضل، ولكنهم آثروا الخفة لأنك لو قدمت «مضر» في اللفظ كثرت الحركات وتوالت، فلما أخرت وقف عليها بالسكون)(4)

(1)سورة آل عمران: 2-6

(2)سورة طه:: 6.

(3)سورة إبراهيم: 38.

(4) نتائج الفكر، للسهيلي، ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت 581هـ)، نشر دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، ط1، 1412هـ-1992م، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ص 209.

فهو يذكر خمسة أسباب للترتيب بحسب المعنى، وسببا لفظيا جرى عليه لسان العرب في الميل إلى خفة اللفظ وسهولة جريانه على الألسنة.

فسر السهيلي تقديم السماء على الأرض تارة، وتقديم الأرض أخرى، فقال: (وأما تقديم السماء على الأرض فبالرتبة أيضا وبالفضل والشرف، وأما تقديم الأرض من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1] فبالرتبة، لأنها منتظمة بذكر ما هي أقرب إليه، وهم المخاطبون بقوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ فاقتضى حسن النظم تقديمها مترتبة في الذكر مع المخاطبين الذين هم أهلها)[2]

هذا الترقي من الأدنى إلى الأعلى هو الذي أوجب تقدم الأرض في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ في سورة آل عمران وما شابهها من سور إبراهيم، وهما اللتان وقعت فيها السماء فاصلة، لأن العلم بما خفي في الأرض دون العلم بما خفي في السماء لعظم خلقها و سعتها، فبدأ بنفي فوات شيء عن علمه من أسرار الأرض، مترقيا إلى شمول علمه من أسرار السماء، كما ترقى من النهي عن الأدنى إلى النهي عن الأعلى في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [3]وكما ترقى في نفي إعجاز الكافرين له في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [4] فهم لا يستطيعون الهرب في الأرض الضيقة الصغيرة، ولا في السماء العظيمة المتسعة، وليست السماء هنا فاصلة، حتى يقال إن التقديم فيه رعي للتناسب.

فإذا ما صحب هذا الغرض توافق المقاطع وتآخي أجراسها كان ذلك حسنا على حسن.

---

(1)سورة يونس:62.

(2) المصدر نفسه، ص 212.

(3)سورة الإسراء 23

(4)سورة العنكبوت 22

وقد كشف أبو السعود عن سر تقديم الأرض في آية إبراهيم، فقال: (تقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا، المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا)[1]

أما آية طه فقد وقع البيضاوي على سر دقيق لتقديم الأرض فيقول:(تفخيم لشأن المنْزل بفرط تعظيم المنزِّل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل، فبدأ بخلق الأرض والسموات التي هي أصول العالم وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات)[2].

وقد جاء تعليق الشهاب على قول البيضاوي: «على الترتيب الذي هو عند العقل» قال الشهاب: (لأنه يدرك أفعاله أولا، ثم يستدل بها على سائر صفاته، ولذا قدم الخلق، وثنى بالرحمة التي تتناول الموجودات قبل كل شيء، لأن الخلق منها، وليس الترتيب بحسب الوجود، فإنه بعكسه، ولذا قدم الأرض)[3]

- **قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾** [4]

يقول الخطيب الإسكافي[5] الحذف إلى التقديم في هذه الآية لتحقيق التناسب، فلم يذكر «رب العالمين» كما جاء في سورة الأعراف والشعراء مراعاة للفواصل كذلك.

وهو ما تردد في كتب المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

---

(1) تفسير أبي السعود ج2 ص6.

(2) تفسير البيضاوي ج 4 ص41.

(3) حاشية الشهاب ج 6 ص 189

(4)سورة طه 70.

(5) درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني(420 ه)ـــ، تح: محمد مصطفى آيدين، ط1، 1422هـــ / 2001م، المملكة العربية السعودية، ، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ص214 بتصرف.

يقول محمد رشيد رضا(ت 1354هـ): (فإن قيل: و لم لم يذكر في سورة طه إيمانهم برب العالمين؟ و لم أخر فيها موسى وقدم اسم هارون؟ فالجواب عنهما أن سبب ذلك مراعاة فواصل السور، بما لا يعارض غيره بما ورد في غيرها)[1]

قال أبو السعود، والبيضاوي، وغيرهما، من أن تقديم هارون لكبر سنه، أو لدفع وهم أن يكون المقصود برب موسى لو قدم هو فرعون لسابق تربيته له، ويكون ذكر هارون على سبيل الاستتباع[2].

رد الباقلاني على القائلين بمراعاة الفواصل في الآية، بأن (إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحد، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه للبلاغة)[3]

ذهب محمد الحسناوي إلى أن التقديم (يصور الحالة النفسية التي كان عليها السحرة لما ظهرت معجزة موسى، فألقوا سجدا يتلعثمون بالشهادة، كحال العبد الذي فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها فقال من شدة الفرح على ما جاء في صحيح مسلم: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ"[4])[5]

أما عبد الكريم الخطيب في كتاب إعجاز القرآن يقول:" والأمر- عندنا- أهون من هذا وأقرب متناولا، فهذه المقولات الثلاث التي حكاها القرآن على لسان السحرة هي جميعها من مقولاتهم في تلك الحال، فقال بعضهم: رب هارون وموسى، وقال بعض آخر: رب موسى وهارون، وقال بعض ثالث: رب العالمين، وقال بعض رابع وخامس وسادس وهكذا.. قالوا جميعا مقولات تدل على الإيمان بالله.. قالوها بأساليب مختلفة وبصور متباينة.. جهر بها بعضهم

---

(1)تفسير المنار- تفسير القرآن الحكيم-، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، ج9 ص61.

(2) تفسير أبي السعود ت951هـ -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت،ج6 ص28. وتفسير البيضاوي ج1 ص61.

(3) إعجاز القرآن للباقلاني ج 1 ص 61.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم 2747، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت، دط، دت، ج4، ص2104.

(5) الفاصلة في القرآن، ص 199.

وخاف بها بعضهم.. ومحال أن يكونوا جميعا قالوا قولا واحدا على صورة واحدة.. فذلك ما لا يتفق لهذا الجمع الكثير، ولا يشهد له واقع الحياة. وكان الذي حكاه القرآن من مقولاتهم هو الوجه الغالب فيها.. وهذا ما يتفق وصدق القرآن وإعجازه"[1].

سياق الآيات في القصة مع السحرة يوم الزينة يوحي بأن المغالبة كانت بينهم وبين موسى عليه السلام فقط ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾

والمقصود من تقديم هارون على موسى أن الغرض من ذكر هارون عليه السلام التنبيه على حضوره حين إلقاء موسى عليه السلام العصا وإقامة الحجة، حتى لا يظن ظان أن موسى عليه السلام حضر الموعد وحده كما يوحيه السياق، ثم ثُني بموسى عليه السلام على سبيل الترقي من البدء بالأفضل فالأفضل، بخلاف ذكر هارون عليه السلام بعد موسى عليه السلام فإنه يوحي بتبعيته، ويبدو في دور المساند لا المشارك والله أعلم.

في سورة النجم:

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [2]

والموطن الثاني الذي تقدمت فيه الآخرة على الأولى قوله تعالى حديثا عن موسى وفرعون: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ

(1) نقلا عن نفس المصدر، ص 199.

(2)سورة النجم: 25

وَعَصَى* ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (1)

في تفسير الآخرة والأولى ما روى عن ابن عباس(2) ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبير ومقاتل من أنهما كلمتا فرعون ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ (3) و ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (4).

وهو ما اختاره الرازي في تفسيره ثم قال: (والمقصود التنبيه على أنه ما أخذه بكلمته الأولى في الحال، بل أمهله أربعين سنة، فلما ذكر الثانية أخذ بهما، وفي هذا تنبيه على أنه تعالى يمهل ولا يهمل)(5)

أما الموطن الثالث: وهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ (6)

تقول عائشة عبد الرحمن: (ونلتفت إلى ملحظ بياني في الآية، هو العدول عما هو مألوف من تقديم الأولى على الآخرة، وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى، وإنما اقتضاه المعنى في السياق البشري والنذير، إذ الآخرة هي دار القرار، وكذلك قدمت الأخرى على الأولى في سياق البشري للمصطفى بآية الضحى ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾

(1)سورة النازعات: 15-25

(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، نشر دار الكتب العلمية -لبنان-، دط، دس، ص500.

(3)سورة القصص: 38

(4)سورة النازعات: 24.

(5)تفسير الفخر الرازي 44/31

(6)سورة الليل: 6-13.

كما قدمت الآخرة على الأولى في سياق الوعيد لفرعون، إذ أدبر وتولى، ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ بآية النازعات. وفي مثل هذا السياق من الوعيد تتقدم الآخرة على الأولى في آية الليل)[1]

في سورة الحج:

قوله تعالى:﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[الحج:19-21]

ذكر الشهاب الخفاجي أن تأخير الجلود بسبب ثلاثة أوجه، فقال: (وتأخيره عنه إما لمراعاة الفاصلة، أو للإشهار بغاية الحرارة، بإيهام أن تأثيرها في الباطن أقدم من تأثيرها في الظاهر، وإنما ذكر للإشارة إلى تساويهما، ولذا قدم الباطن، لأنه المقصود الأهم، فلا يتوهم أن حق النظم تقديم الجلود)[2]

إذ الحميم يصب من فوق الرأس، فينفذ منها إلى البطن، ويبدأ في صهرها حتى ينتهي إلى الجلد، كما يشهد بذلك حديث رسول الله ﷺ (أخرج عبد بن حميد والترمذي، وصححه. وعبد الله ابن أحمد في زوائد الزهد. وجماعة عن أبي هريرة أنه تلا هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحميم ليصب على رؤوسهم، فينفذ من الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق إلى قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان"[3].

---

(1) التفسير البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ دار المعرف – ط 5- د ت، ج2 ص 112.

(2) حاشية الشهاب ج 6 ص 288- 289.

(3) رواه الترمذي برقم 2582، من طريق أبي السمح وهو دراج عن ابن حجيرة وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت-، دط، دت، ج5، ص735.

وقد أحسن أبو حيان تصور المعاني بما يواكب ظلالها في الألفاظ، فقال: (ولما ذكر ما يعذب به الجسد ظاهره، وما يصب على الرأس، ذكر ما يصل إلى باطن المعذب، وهو الحميم الذي يذيب ما في البطون من الحشا، ويصل ذلك الذوب إلى الظاهر وهو الجلد، فيؤثر في الظاهر تأثيره في الباطن)[1].

في سورة الشورى:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [2]

قال جار الله الزمخشري: (فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه، لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليَليَ الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء، وأخر الذكور، فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم، وهم أحقاء بالتقدم بتعريفهم، لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدّمهن، ولكن لمقتضى أخر، فقال:﴿ذكرانا وإناثا﴾ كما قال:﴿خلقناكم من ذكر وأنثى﴾[3]، ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾[4]).[5]

---

(1) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، نشر دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422 هـ – 2001 م، ط 1، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ج6، ص360.

(2)سورة الشورى: 47-50

(3)سورة الحجرات: 13

(4)سورة القيامة: 39

(5) الكشاف، ج 4 ص 232.

والمواضع الأربعة الأخرى قدمت فيها البنات على البنين، وهي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾[1] وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾[2] وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[3] وقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[4]

وفيها-والله أعلم- تقدم الأهم في سياقه، إذ أن محط الإنكار فيها أن يخصوا الله تعالى بأدنى الجنسين في اعتقادهم، وتلك أقبح وأشنع مقالات الكفر، حيث لم يكتفوا بأن ينسبوا إلى الله الولد، حتى نسبوا إلى الله منه البنات، ومن كانوا يعزفون عنه ويحقرونه، على ما صوره الله تعالى في رده عليهم ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[5].

فلما كانت نسبة البنات إلى الله تعالى هي محط الإنكار، ونسبتهم البنين إلى أنفسهم زيادة في سوء مقالتهم، قدم الأهم وهو البنات.

فإن بلاغة النظم القرآني تقتضي أن يجيئ التناسق والترتيب بين الكلمات تحقيقاً للغرض، وأنه عندما يتغير الغرض من موضع إلى موضع آخر لا جرم يتغير معه ترتيب النظم. وإلا فلو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي- كما ذكر شيخ البلاغة- "أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحُسن النظم أو غير الحُسن فيه لأنهما يُحسّان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر"[6]. لهذا كان العلم بالقرآن يحتاج صاحبه إلى ذوق.

---

(1)سورة الصافات: 149

(2)سورة الزخرف: 16

(3)سورة النحل: 57

(4)سورة الطور: 39

(5)سورة الزخرف: 16-18.

(6) دلائل الإعجاز، ص 57.

المطلب الثاني :

التقديم والتأخير بين الصفات .

لقد اخترت لهذا المطلب نماذج، كثيرا ما يمر قارئ القرآن بها ولا ينتبه لها أو يغيب عنه سر المغايرة فيها:

في سورة الفاتحة:

قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾[1]

قد أطال المفسرون الوقوف عند بيان الفرق بين الرحمن والرحيم، وهم يكادون يجمعون على أنهما من أمثلة المبالغة في الرحمن وأن صفة الرحمن أبلغ؛ بحكم أنها أكثر مبنى فهي أغزر معنى، ولذا خص الله تعالى نفسه بهذه الصفة حتى لا يصح أن يوصف بها أحد من خلقه بخلاف صفة الرحيم التي وصف بها رسوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2] ووصف المؤمنين ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]ومع ذلك اختلفت آراؤهم في سر تقديم الرحمن.

فقال الزمخشري (فإن قلت: لم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، و القياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى، كقولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجود فياض؟ قلت: لما قال الرحمن، فتناول جلائل النعم و عظائمها و أصولها، أردفه ﴿الرحيم﴾ كالتتمة والرديف، ليتناول ما دق منها ولطف) [4].

وقال ابن القيم: (وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما- السهيلي-، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ ﴿إنه بهم رءوف رحيم﴾ ولم يجئ قط رحمن بهم، فعلم أن ﴿رحمن﴾ هو الموصوف بالرحمة،

(1)سورة الفاتحة: 2

(2)سورة التوبة:128

(3)سورة الفتح: 29

(4) الكشاف ج 1 ص 8.

ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها)[1].

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور: (وتقديم الرحمن على الرحيم، لأن الصفة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها)[2]

في سورة البقرة:

﴿رءوف رحيم﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن تقديم الرؤوف هو الأبلغ، للمحافظة على تناسب رءوس الآي[4]ومنهم البيضاوي الذي عقب عليه الشهاب بقوله: (هو بناء على تفسير الرأفة بأشد الرحمة، وحينئذ المناسب رحيم رءوف، وفيه نظر من وجهين: الأول أن فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع، كما هنا في «رحيم وتعملون» فذلك حاصل على كل حال، والثاني أن الرأفة حيث وردت في القرآن قدمت، ولو في غير الفواصل، كما في قوله تعالى:﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[5] في وسط الآية. والذي غره كلام الجوهري وهو عندي ليس بصواب، فإن الرأفة معناها الشفقة واللطف، والرحمة الإنعام، ورتبتها التقديم، كما قيل: الإيناس قبل الإبساس...ومثله كثير في كلام العرب)[6].

---

(1) بدائع الفوائد لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، ط1، ، 1416 – 1996، تح: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي، ج1ص24.

(2) تفسير التحرير و التنوير ج 1 ص 172.

(3)سورة البقرة: 142

(4) البحر المحيط ج 1 ص 427، و البيضاوي ج 2 ص 252.

(5)سورة الحديد: 27

(6) حاشية الشهاب ج 2 ص 251

يقول مصطفى صادق الرافعي: (وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها)[1]

هذا و"لقد أنكر الإمام محمد عبده القول بمراعاة الفواصل في هذه الآية أشد الإنكار فقال: (إن كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها، فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة، لأن القول برعاية الفواصل إثبات للضرورة، كما قالوا في كثير من السجع والشعر: إنه قدم كذا، وأخر كذا لأجل السجع، ولأجل القافية، والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع، وهو الله الذي لا تعرض له الضرورة، بل هو على كل شيء قدير، وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، ثم قال-محمد عبده -: وعندي أن الرأفة أثر من آثار الرحمة، تشمل دفع الألم والضر، وتشمل الإحسان، فذكر الرحمة هنا فيه معنى التعليل والسببية، وهو من قبيل الدليل بعد الدعوى، فهو واقع في موقعه كما تحب البلاغة وترضى)"[2].

في سورة سبأ:

﴿الرحيم الغفور﴾

جاء وصف الرحمة متأخرا أبدا إلا في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [3]

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية-مصطفى صادق الرافعي دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، ط9، 1393هـ-1973م، ص216-217.

(2) تفسير المنار ج 2 ص11

(3)سورة سبأ: 1-2

يقول الشهاب: (قدم الرحمة لأنها منشأ المغفرة، أو للفاصلة)[1]

لأن الفاصلة قبله على روى الراء، بل إنها نفس الفاصلة التي سبقت آية سبأ، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ * قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [2]

فالفاصلة التي سبقت ﴿الرحيم﴾ وهي ﴿خبير﴾ هي نفسها التي سبقت ﴿الغفور﴾ في سبأ، فلو كان التقديم للمشاكلة لقدمت هنا كما قدمت هناك.

وللسهيلي رأي في هذا التقديم، إذ يجعل الترتيب ضربا من الترقي بذكر الخاص بعد العام. يقول: (وأما قوله: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ في سبأ، فالرحمة هناك متقدمة على المغفرة، إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع، لأنها منتظمة بذكر أوصاف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص)[3]

فتقديم الرحمة هو الأنسب بهذا السياق، حيث كانت سبب نعمه، وهي بعد سبب في تجاوزه عمن أنعم عليهم إن هم قصروا في شكره عليها.

وهناك معنى بياني أجود يظهر من تتبع التعابير القرآنية التي قدمت فيها المغفرة على الرحمة، لتقدم ذكر المكلفين فيها فناسب ذلك. أما آية سبأ فلم يتقدم فيها ما يتناول المكلفين أبدا والمغفرة لا تكون إلا لهم بل جاء ذكرهم بعد الآيتين الأولى والثانية، فاقتضى تأخير المغفور لهم تأخير المغفرة في السياق والله أعلم.

---

(1) حاشية الشهاب ج7 ص188.

(2)سورة الحجرات: 13-14

(3) نتائج الفكر ص 213.

في سورة مريم: ﴿رسولا نبيا﴾

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾ (1)

وقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾ (2)

معنى الرسول والنبي، الرسول في اللغة (الذي يتابع أخبار من بعثه، أخذا من قولهم: جاء الإبل رسلا أي متتابعة)(3)

ويقول الراغب في تفسير النبي: (النبوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم، والنبي لكونه منبتا بما تسكن إليه العقول الذكية)(4).

قال الشهاب: (إشارة إلى أن الرسول بمعنى المرسل، وقوله ﴿أنبأهم﴾ أي أخبرهم إشارة إلى أن النبي بمعنى المنبئ عن الله بالتوحيد و الشرائع، وأن أصله الهمزة فأبدلت في النبي والنبوة، ولو قيل هنا إنه من النبوة بدليل قوله ﴿مكانا عليا﴾ والمعنى: رفيع القدر على غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ليكون بمعنى آخر أخص كان أظهر.. ويحمل أن يريد أن المراد بالرسول والنبي هما معناهما اللغوي، وهو المرسل من الله، والمنبئ عن الله، وليس كل مرسل ينبئ، لأنه قد يرسل بعطية ومكتوب، فلذا قدم)(5)

---

(1)سورة مريم: 51

(2)سورة مريم: 54

(3)لسان العرب، مادة: رسل ج 11 ص 281.

(4) المفردات في غريب القرآن، لحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، نشر: دار العلم الدار الشامية، دمشق ــ بيروت، 1412 هــ، تح: صفوان عدنان داودى، ص 789.

(5) حاشية الشهاب ج6 ص164.

المطلب الثالث:

تقديم وتأخير الجار والمجرور

على متعلقه.

ذكر سيبويه من تقديم الظرف للعناية قوله تعلى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1] ثم قال: (وأهل الجفاء من العرب يقولون: و لم يكن كفوا له أحد)[2] فأومأ بذلك إلى أن الوقوع على أغراض التقديم بحاجة إلى رقة حس، وصفاء طبع، وأن إدراك المعاني اللطيفة، وملاحظة حركتها في النسق لا يتأتى لغير أصحاب الأذواق السليمة، والأفهام الواعية، لذلك كانت جفوة الطبع، و نبوة الذوق سبب غياب سر التقديم عن جفاة الأعراب في الآية الكريمة.

والمتأمل لنظم الآية واحتمالات التقديم والتأخير فيها يتبدى له ثلاث صور متغايرة في نسقها ودلالاتها، أبلغها ما عليه النظم الحكيم.

الصورة الأولى: أن يأتي الترتيب على الأصل من تقديم الاسم على الخبر، وتأخير الظرف عما تعلق به. فيقال: و لم يكن أحد كفوا له، ويكون الغرض حينئذ نفي وجود المكافئ.

والثانية: يتقدم فيها الخبر وما تعلق به من الظرف على الاسم، فيقال: و لم يكن كفوا له أحد، كما كان الأعراب يقولون، فيتسلط النفي على المكافأة والمساواة.

والثالثة: ما جاء به النظم الحكيم من تقديم الظرف على متعلقه وتقديمها معا على الاسم، وفيه يكون نفي المكافأة والمساواة منصبا على الذات المقدسة، ليشعر من أول الأمر بأنه تعالى مما لا يتصور له مكافئ. وذلك ما قصد إليه النص القرآني، وإلى ذلك أشار الزمخشري، فقال: (هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأغناه، وأحقه بالتقدم وأحراه)[3]

في عبارة الزمخشري هذه إلغاء لهذا التقسيم الذي جرى عليه المفسرون وأهل البيان منهم، بجعل التقديم لأحد غرضين. التخصيص أو الاهتمام، وكأن أحدهما نقيض الآخر، فتقديم المجرور

(1)سورة الإخلاص: 3.

(2) الكتاب لسيبويه، ج1ص56.

(3) الكشاف ج 4 ص 824.

في الآية دال على التخصيص قطعا، ومع ذلك يرى الزمخشري أنه أفاد الاهتمام، لأنه مصب الغرض و مركزه في نفي المكافأة عن ذات الله خصوصا.

وقد سبق الدكتور أبو موسى إلى تجلية رأي الزمخشري في العلاقة بين الاهتمام والتخصيص حين رد على أبي حيان، الذي ذهب إلى أن التقديم في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ للاهتمام وليس للتخصيص الذي قال به الزمخشري فقال: (على أننا لا نرى في كلام سيبويه ما يعارض كلام الزمخشري، لأن سيبويه يثبت العناية والاهتمام لدلالة صورة التقديم، وهذه العناية لا تعني أن الصورة لا تفيد التخصيص، لأنه لا منافاة بينهما، ومن المقرر أن النكات لا تتزاحم وليس في كلام سيبويه ما يرفض دلالة الاختصاص، كما أنه ليس في كلام الزمخشري ما يرفض دلالة العناية والاهتمام)[1]

وتأمل ما أسرته أخت موسى وبالغت في اختفائه وهي تقصه، فيما حكاه الله تعالى: **﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** [2].

رغم حذرها في قصّه، وفي عرضها على آل فرعون أن تدلهم على من يكلفه، لم تستطع إخفاء مشاعرها المتوجهة، ولهفتها على أخيها، فوشى لسانها بمكنون ضميرها، حين قالت:﴿وهم له ناصحون﴾ فأشعرت بتقديمها للمجرور، وما يدل عليه من اختصاص نصحهم به، أنهم أهله ودووه، حتى شكوا في أمرها، وقالوا لها ما حكاه ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قالت ذلك أخذوها، وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟

(1) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة- القاهرة، ط2، 1408هـ-1988م ص340.

(2)سورة القصص: 11-12.

فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظُؤُورة[1] الملك و رجاء منفعته. فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك خَلَصت من أذاهم...[2]

فلو أنها قالت: ﴿وهم له ناصحون﴾ لما كان هذا الشك، لأن شأن المراضع من بني إسرائيل أن ينصحن لمن يرضعنه، ابتغاء الحصول على الأجر، وخاصة إذا كان الرضيع من بيت الملك، أما أن يكون نصحهم خالصا له على ما أفاده التقديم فذلك ما أثار الشك، مما جعل أخت موسى تتخلص من ذلك بجعل الضمير في «له» للملك، لا للطفل، قائلة: (ما أردت إلا أنهم ناصحون للملك، فتخلصت منهم بهذا التأويل)[3]

ونقرأ قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾[4] فيروعنا تقديم المفعول على فعل القتل وتأخيره عن فعل الأسر، مع أن الغرض هو تفصيل المفعول و تقسيمه مما يقتضي تمام التناسب فيه أن يقدم في الجملتين، مما دفع المفسرين إلى القول بأن التقديم لمراعاة الفاصلة.

قال الآلوسي: "وقدم مفعول تَقْتُلُونَ لأن القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أهم و لم يكن في المأسورين هذا الاعتناء، بل الاعتناء هناك بالأسر أشد، ولو قيل: وفريقا تأسرون لربما ظن قبل سماع تأسرون أنه يقال بعد تهزمون: أو نحو ذلك، وقيل: قدم

---

(1) ظَأَرَ المُظَاءَرَة : عطف الناقة على غير ولدها يقال ظَأَرَهَا و اظْأَرَهَا و ظَاءَرَهَا وهي ظُئُور وظِئِير ورواه المحدثون ظَاوَر بالواو والصحيح الهمزة. والمراد هنا عطف الملك على المرضع بالعطاء والتقريب منه.

ينظر الفائق في غريب الحديث، الزمخشري محمود بن عمر، تح: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة- لبنان، دت، ج2، ص374 .

(2) تفسير ابن كثير، المسمى تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774ه)، تح: سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ - 1999 م، ج 6 ص 224.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، نشر دار الكتب العلمية- لبنان - 1413هـ - 1993م، ط 1، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج 12 ص 149.

(4)سورة الأحزاب:26.

المفعول في الجملة الأولى لأن مساق الكلام لتفصيله وأخر في الثانية لمراعاة الفواصل، وقيل التقديم لذلك وأما التأخير فلئلا يفصل بين القتل وأخيه وهو الأسر فاصل، وقيل: غوير بين الجملتين في النظم لتغاير حال الفريقين في الواقع فقد قدم أحدهما فقتل وأخر الآخر فأسروا"[1]

يقول فاضل السامرائي: "ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (فريقاً) في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ في سورة الأحزاب؟

قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ حالة القتل التي وردت في هذه الآية هي أغرب حالات القتل وأندرها والإنسان يدافع عادة عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن داره، عن أهله، عن أرضه فإذا اجتمعت كلها يدافع عن كل شيء. فكيف إذا جاء أحدهم وقال لك: أعطني سيفك لأقتلك وآخذ مالك وأرضك وأموالك وكل ما تملك ؟ هذه تعتبر من أغرب حالات القتل وأندرها. فما بالك إذا كان هذا الشخص في حصن فقيل له انزل حتى أقتلك ؟ هذه حالة أعجب! والحالة في الآية المذكورة تقول أنه أنزلهم من الحصن وألقوا أسلحتهم وأخذ أراضيهم وديارهم وأموالهم وأولادهم فهل هناك أعجب وأغرب من هذه الحالة؟ كانوا 600 رجل في الحصن ألقوا أسلحتهم من غير قتال وكانوا في حالة رعب عجيبة فسلّموا كل ما عندهم من سيوف ونزلوا من حصونهم وأخذ أرضهم وديارهم وأموالهم وأسر نساءهم وذريتهم فقدّم فريقاً في حالة القتل لأنها حالة عجيبة من الرعب والذعر ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت، 1415 هـــ، تح: على عبد الباري عطية،ج11 ص172.

و أيضا التحرير والتنوير- ج21 ص232.

وتفسير الرازي: مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، نشر دار الكتب العلمية- بيروت-، ط1، 1421هـــ- 2000م، ج25 ص177.

ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وصياصيهم بمعنى حصونهم. أما مع الأسر فلا داعي هنا لتقديم (فريقاً) على (تأسرون) لأنه ليس هناك مقاتلة وإنما أسروا النساء والأطفال فهذا الفريق الثاني ليس بينهم مقاتل أصلاً وهذه الحالة لا تستدعي التقديم. أما الأولى فهي أعجب وأندر وأغرب حالات القتل. "[1].

المراد-والله أعلم-من تقديم مفعول القتل، وتأخير مفعول الأسر يلمح إلى أن هدف المؤمن الأول، هو كسر شوكة عدوه، والقضاء على كل وسائل مقاومته، ولا يتحقق ذلك بغير القتل. أما الأسر فليس الغاية التي يتطلع إليها المقاتل المسلم، خاصة بعد ذلك العتاب لنبي الله والمؤمنين في غزوة بدر على افتدائهم الأسرى، فكان تقديم الأول، وتأخير الثاني إشعارا بالتفاوت بينهما في غايات المؤمن وأهدافه. ثم إن هذه الآية نزلت في بني قريظة، وقد حكم الله تعالى فيهم على لسان سعد بن معاذ بقتل الرجال وسبي العيال والذرية، فكأن الفريق المقتول هو الذي من أجله تحركت جموع المسلمين، وللقضاء عليه تلاقت قلوبهم و أهدافهم.

أمثلة عن بعض أغراض تقديم الجار والمجرور على متعلقه:

1- زيادة التقريع:

قال الزمخشري في قوله تعالى:﴿وعلامات **وبالنجم** هم يهتدون﴾[2]: (فإن قلت: قوله:﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ مخرج عن سنن الخطاب، مقدم فيه النجم، مقحم فيه «هم» كأنه قيل: وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون، فمن المراد بهم؟ قلت: كأنه أراد قريشا، كان

(1) أسئلة بيانية في القرآن الكريم، فاضل السامرائي، نشر مكتبة الصحابة-الإمارات- الشارقة، ط1 1429هـ-2007، ج1 ص147-148.

(2)سورة النحل: 16

لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم فخصّصوا) [1]

وفي قوله تعالى: ﴿إن الإنسان **لربه** لكنود و إنه على ذلك لشهيد و إنه لحب الخير لشديد﴾[2] يقول الشهاب الخفاجي بيانا للغرض من تقديم الجار و المجرور « لربه» على متعلقة: (قدم للفاصلة، لا للتخصيص)[3] و قول الزمخشري: أنه لنعمة ربِه خصوصا لشديد الكفران، لأن تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب، لمقاربة النعمة، لأن أجلّ ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبويه، ثم إن عظمها في جنب نعمة الله قليلة ضئيلة[4].

2- التشديد في الوعيـــد:

ومنه قوله تعالى: ﴿إلا من تولى و كفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن **إلينا** إيابهم ثم **علينا** حسابهم﴾[5] و قد نبه فيه الزمخشري إلى الغرض من التخصيص بالتقديم، فدل بذلك على أن التخصيص وسيلة من وسائل تحقيق أغراض النظم، وليس هو الغاية التي ينتهي عندها الباحث عن بلاغة الكلام فقال:(فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟ قلت: معناه التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام)[6]. فقد رفع القرآن نذر الوعيد بهذا الحصر وما يبثه في نفوس المنذرين من الفزع حين يعلمون أنهم لا يستطيعون الهروب من الله تعالى.

هذا التشديد في الوعيد كثيرا ما يصاحب تقديم القيود في النظم القرآني، وأكثر ما يكون في تقديم المجرور على متعلقة، كما في قوله تعالى: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصّل ما في

---

(1) الكشاف ج 2 ص 405

(2)سورة العاديات: 6-7

(3) حاشية الشهاب ج 8 ص 392.

(4) الكشاف ج 4 ص 278 بتصرف.

(5)سورة الغاشية: 25-26.

(6) الكشاف ج 4 ص 248

الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ [1]، ومثله قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [2]، وغيرها.

3- التنبيه على خطر المقدم:

وهذا قوله تعالى في حديثه عن خلق الأنعام و تسخيرها لمنفعة الإنسان: ﴿و الأنعام خلقها **لكم** فيها دفء و منافع و **منها** تأكلون﴾ [3]. فكيف تناول المفسرون سر التقديم في الآيتين؟

يقول البيضاوي في تفسيره للآية الأولى: (وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي، أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش)[4]

ويقول في الآية الثانية: (قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل و يعاش به)[5]

وهكذا يجعل التقديم في الآيتين مفيدا للتخصيص.

وبالرجوع إلى الكشاف نجده يذكر في الآية الأولى وجهين في تفسير الاختصاص فيقول: (فإن قلت: تقديم الظرف في قوله: ﴿ومنها تأكلون﴾ مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها، قلت الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معاشهم. وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر، فكغير المعتد به، وكالجاري مجرى التفكه. ويحتمل أن طعمتكم منها،

---

(1)سورة العاديات: 9-11

(2)سورة النساء: 94

(3)سورة النحل: 6

(4) تفسير البيضاوي ج 5 ص 312.

(5) المصدر نفسه ج 7 ص 240.

لأنكم تحرثون بالبقر، فالحب والثمار التي تأكلونها منها، وتكسبون بإكراء الإبل، وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها)[1]

وفي الآية الثانية يفسر التخصيص بما يدل القصر الحقيقي على سبيل التجوز، فيقول: (تقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش، ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قل جاء القحط ووقع الضر، وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء)[2]

4- التقديم للترغيب:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ** يُنْفِقُونَ﴾[3]. لقد دار جدل طويل حول تقديم ﴿مما رزقناهم﴾ على فعله، بين قائل بالتخصيص، وآخر يقول بالاهتمام. والتخصيص ضرب من الاهتمام وليس مقابلا له، وهذا ما يتضح من كلام الزمخشري: (وقدم مفعول الفعل، دلالة على كونه أهم، كأنه قال: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به)[4]فالاختصاص دليل الاهتمام، وليس مقابلا له في نظر الزمخشري.

يقول صاحب التحرير والتنوير: (وتقديم المجرور المعمول على عامله وهو ﴿ينفقون﴾ لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس، فيكون في التقديم إيذان بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس، كقوله تعالى: ﴿و يطمعون الطعام على حبه﴾ مع رعي فواصل الآيات على حرف النون)[5]

(1) الكشاف ج 2 ص 410
(2) الكشاف ج 3 ص 22
(3) سورة البقرة: 3
(4) الكشاف ج 1 ص 132
(5) التحرير و التنوير ج 1 ص 236

5- التقديم للتعريض:

مما تقدم فيه المعمول للتعريض قوله تعالى:﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك **وبالآخرة** هم يوقنون﴾[1]، فكان جواب الزمخشري: (وفي تقديم الآخرة، وبناء «يوقنون» على «هم» تعريض بأهل الكتاب، و بما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك)[2].

وما يخلص إليه المرء أن إعجاز القرآن يتجلى في هذه المواءمة الدقيقة بين جمال الشكل والمضمون، ليتحقق بها التناسب بين الفواصل، في الوقت نفسه الذي يتحقق فيه التناسب بين المعاني.

فإذا نظرت إلى جمال الموسيقي النابع من التوازن بين المقاطع وتوافقها في الروى، خلت أن القرآن عمد إليه وتوخاه، وإذا تأملت المعاني والأغراض وجدت أنه أحكم نسق الألفاظ وفقا لثوابت المعاني وحركتها في الأذهان، فمن أي جانب نظرت وقعت على سر من أسرار الإعجاز.

---

(1)سورة البقرة: 4

(2) الكشاف ج 1 ص 137

المبحث الثالث:

التغاير بالحذف والزيادة.

تمهيد

❖المطلب الأول: الحذف:

❖المطلب الثاني: الزيادة:

ومن مغايرة الأنساق في الفاصلة التغاير بالحذف والزيادة والكلام أولا عن الحذف.

فقد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو (استطاعوا) و(اسطاعوا)، و(تتزل)، و(تزل)، و(تتوفاهم)، و(توفاهم)، و(لم يكن)، و(لم يك)، وما إلى ذلك وكل ذلك لغرض وليس اعتباطا، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل كلمة، بل كل حرف إنما وضع لقصد.

وعلى سبيل المثال:

– أنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإن زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث.

أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة. نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[الكهف: 97]

وذلك في السد الذي وضعه ذو القرنين، فحذف من الحدث الخفيف: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ بخلاف الفعل الشاق الطويل، فإنه لم يحذف منه بل أعطاه أطول صيغة له: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.

– قد تحذف ياء المتكلم ويجتزأ عنها بالكسرة، وذلك لا يكون إلا لغرض، لأنه قد تذكر الياء في مقام الإطالة والتفصيل فتحذف ويجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار، وقد تحذف لغرض آخر يقتضيه المقام، كأن يكون المقام يقتضي إظهار النفس أكثر من مقام آخر، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة:150]، بذكر الياء، وقوله تعالى:﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:3]، وقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[المائدة:44]، بحذف الياء منهما.[1]

(1) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، نشر شركة العاتك لصناعة الكتب، ط2، 1427هـ-2006م، ص9-35 بتصرف.

حذف حرف الكاف- المفعول- في قوله:﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى:3]

قال الفراء[1]: يريد وما قلاك.

حذف الضمير من ﴿قَلى﴾ كحذفه من ﴿الذَّاكِراتِ﴾ في قوله ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ﴾ يريد: والذاكراته ونحوه:﴿فَآوى﴾...﴿فَهَدى﴾...﴿فَأَغْنى﴾ وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف[2].

"في حذف الكاف وجوه أحدها: حذفت اكتفاء بالكاف الأولى في ودعك، ولأن رؤوس الآيات بالياء، فأوجب اتفاق الفواصل حذفها، وثانيها: فائدة الإطلاق أنه ما قلاك ولا أحداً ممن أحبك إلى قيام القيامة، تقريراً لقوله ﷺ: (المرء مع من أحب) [3]"[4].

﴿وما قلى﴾ أي وما أبغضك بغضاً ما، وحذف الضمير اختصار لفظي ليعم، فهو من تقليل اللفظ لتكثير المعنى[5].

وما قلى أي وما أبغضك وحذف المفعول لئلا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلي وإن كانت في كلام منفي لطفا به ﷺ وشفقة عليه، عليه الصلاة والسلام أو لنفي صدوره عنه عز وجل بالنسبة إليه ﷺ ولأحد من أصحابه ومن أحبه ﷺ إلى يوم القيامة أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة للفواصل[6].

---

(1) معاني القرآن للفراء، ج3 ص 273.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج 4 ص 771.

(3) أخرجه أحمد في مسنده ج 3، ص 104 حديث رقم: 12036.

(4) تفسير الرازي، ج 31، ص 190.

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر(ت855هـ)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، نشر دار الكتب العلمية- بيروت- 1415هـ- 1995م، ج 8 ص 190.

(6) روح المعاني ج 30 ص 156. و أضواء البيان ، ج 8 ص 556.

وتوضيحا لقول الآلوسي وقول محمد الأمين الشنقيطي يقال:

في الأمر المحبوب نفى الله تعالى بقوله:﴿ما ودعك﴾ باستخدام ضمير المخاطب لأنه الرسولﷺ وفيه تكريم له بذكر حرف المخاطب أما في قوله ﴿وما قلى﴾ فلا يصح استخدام ﴿قلى﴾ بين المحبين وقد كرّم تعالى رسولهﷺ عن أن يكون من المبغوضين فلم يقل ﴿وما قلاك﴾ حتى لا يكون الخطاب مباشرة للرسولﷺ من ربه الذي يحبه ولا يقليه واستخدام فعل قلى لا يليق أن ينسب للرسولﷺ. فجاء التكريم في هذه الآية من الله تعالى لرسوله في ذكر المفعول به بـــ﴿ما ودعك﴾ وتكريمه بعدم ذكر المفعول في﴿ما قلى﴾ فكرّمه بالذكر وبالحذف[1]. ولعله الحذف الذي أشار إليه الزمخشري آنفا.

حذف ياء المنقوص المعرف نحو:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]

"ووقف ابنُ كثير ، وأبو عمرو في رواية على ياءِ " المُتعَالِ " وصلاً ووقفاً ، وهذا هو الأشهر في لسانهم ، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً لحذفها في الرَّسم. واستسهل سيبويه[2] حذفها في الفواصل، والقوافي، ولأنَّ (أل) تعاقب التنوين، فحذفت معها إجراء لها مجراها"[3].

﴿المتعال﴾ أي الذي لا يدنو- من أوج علوه في ذات أو صفة أو فعل- عالٍ، وأخرجه مخرج التفاعل ليكون أدل على المعنى وأبلغ فيه[4].

---

(1) التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة عبد الرحمن، نشر دار المعارف، ط7، سنة 1990م، ج1 ص35 بتصرف.
وعلى طريق التفسير البياني لفاضل السامرائي، النشر العلمي لجامعة الشارقة-الإمارات العربية المتحدة، سنة1422هـ-2002م، ج1 ص112 بتصرف.

(2) الكتاب لسيبويه، ج4 ص 183.

(3) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- 1419 هـ -1998 م، ط1، ج11 ص 261.

(4) نظم الدرر، ج 4 ص 200.

ونحو:﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: 32].

﴿وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ﴾ عطف على إني أخاف، ويوم التناد مفعول أخاف وهو يوم القيامة والتناد بحذف الياء وإثباتها في كل من الوصل والوقف وذلك لفظا أما خطاً فهي محذوفة[1].

قرأ ابن كثير ويعقوب التنادي وصلا ووقفا بإثبات الياء وورش وابن دردان وصلا فقط واختلف فيهما عن قالون والحذف عنه أقوى أبو محمد والباقون بحذف الياء في الحالين[2].

يَوْمَ التَّنادِ يعني يوم القيامة سمي يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرءوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التنادّ-بتشديد الدال- يعني يوم التنافر من ند البعير إذا نفر وهرب وذلك أنهم إذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه[3].

يقول البقاعي في حذف ياء التناد:

"وتقدم في حذف ياء التلاق وإثباتها ما يمكّن الفطِن تتريلَه هنا"[4]

وعند الرجوع إلى الموضع المشار إليه نجد له هذا التوجيه، قال:

---

(1) إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، نشر دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص- سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط 4، 1415 هـ، ج 8 ص 483.

(2) تفسير المظهري محمد ثناء الله العثماني المظهري، تح: غلام نبي تونسي، نشر مكتبة رشديه-باكستان، ودار إحياء التراث العربي، ببيروت، 1425 هـ/ 2004 م، ج 1 ص3414.

(3) تفسير الخازن، ج4 ص74.

(4) نظم الدرر ج 6 ص 511.

"الذي لا يستحق أن يوصف بالتلاقي على الحقيقة غيره، لكونه يلتقي فيه الأولون والآخرون وأهل السماوات والأرض ولا حيلة لأحد منهم في فراق غريمه بغير فصل على وجه العدل، وإلى هذا المعنى أشارت قراءة ابن كثير بإثبات الياء في الحالين وهو واضح جداً في إفراد حزبي الأسعدين والأخسرين فإنه تلاق لا آخر له، وأشارت قراءة الجمهور بالحذف في الحالين إلى تلاقي هذين الجزأين: أحدهما بالآخر فإنه-والله أعلم- قلّما يكون حتى يفترقا بالأمر بكل إلى داره: الأسعدين بغير حساب، والأخسرين لا يقام لهم وزن، وأشار الإثبات في الموقف دون الوصل إلى الأمر الوسط وهي لمن بقي فإن لقاءهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض".[1]

حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: 4].

لتستويَ رءوس الآي على مذاهب العرب في الكلام إذا تمَّ فآذَنَتْ بانقطاعه وابتداء غيره. لأن هذا لا يُزيل معنًى عن جهته ولا يَزيد ولا يَنقُص[2].

﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ﴾: سأل المؤرّجُ الأخفشَ عن سقوط الياء فقال: لا، حتى تخدمني سنة. فسأله بعد سنة. فقال: أمّا الآن فاللّيل لا يسري وإنّما يُسرى فيه، فقد عدل به عن معناه فوجب أن يعدل عن لفظه، كقوله: ﴿وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ و لم يقل «بغية» لأنّه معدول عن «الباغية»[3].

(1) نظم الدرر ج 6 ص 494.

(2) غريب القرآن لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تح: أحمد صقر، نشر دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن ط المصرية)، السنة: 1398 هـ - 1978م، ص 440.

(3) إيجاز البيان عن معاني القرآن بيان الحق محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي، تح: حنيف بن حسن القاسمي، نشر دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1415هـ، ج 2 ص 875 – 876. والكشف والبيان عن تفسير القرآن أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، نشر دار إحياء، التراث العربي- بيروت، 1422 هـ، ج 10 ص 195.

والحكمة المعنوية فيه – والله أعلم – من جهة الساري وما يقع السري فيه، فأما من جهة الساري فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور وراجع إلى بلاده، فأشير إلى المجاورين بالحذف حثاً على ذلك لما فيه من جلالة المسالك، فكان ليل وصالهم ما انقضى كله، فهم يغتنمون حلوله ويلتذون طوله من تلك المشاهد والمشاعر والمعاهد، وإلى الراجعين بالإثبات لما سرى الليل بحذافيره عنهم، آبوا راجعين إلى ديارهم فيما انكشف من نهارهم، وأما من جهة ما وقع فيه السري فللإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى ، فالحذف إشارة إلى القصير والإثبات إشارة إلى الطويل[1].

ويكفى للرد على من ذهبوا إلى حذف الياءين في آيات الفجر، لرعاية الفاصلة، أن نذكر أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذفهما هنا في مقاطع الآيات، ليسلم لهم القول بأن الحذف قصد إلى رعاية الفواصل وتماثل رؤوس الآيات، وإنما حذفت ياء المضارع المرفوع المعتل الآخر، و واوه أيضا، وياء المنقوص مضافا ومعرفا بأل، في أواسط الجمل ودرج الكلام. وقد عقد الإمام "أبو عمرو الداني" بابا في ذكر أصول القراء الأربعة، في الياءات المحذوفة من الرسم[2] ومنها في غير الفواصل.

ولا مجال لقولٍ في هذه الآيات ونظائرها، بحذف ياء المنقوص المضاف أو المعرف بال، وآخر المضارع المرفوع المعتل بالواو أو الياء، لرعاية الفواصل، ومشاكلة رؤوس الآيات. وقد يسبق إلى الظن أن الياء والواو حذفتا فيها للتخلص من التقائهما ساكنتين، بساكن بعدهما، إلا أن نلتفت إلى آيات هود ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾[هود:105] والبقرة ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾[البقرة:186]والقمر ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر:6]، والحرف فيها غر متلو بحرف ساكن.

(1) نظم الدرر، ج 8 ص 414.

(2) التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو، نشر دار الكتاب العربي – بيروت – ط 2، 1404هـ/ 1984م، ص58-59.

أفلا يكون القائلون بالحذف لرعاية الفواصل قد تعجلوا بمثل هذا القول في آيات الفجر ونظائرها، محتكمين إلى قواعد اللغويين والنحاة في المعتل الآخر والمنقوص، حين ينبغي أن نعرض قواعدهم على ما يهدى إليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والإثبات في الكتاب المحكم[1].

وكذلك حذف ياء الإضافة نحو:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 16]

وقعت ﴿وَنُذُرِ﴾ في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحالين، وورش في الوصل لا غير، وحذف الباقون. ولا خلاف في حذف الياء من قوله:﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [2]

حذف ياء المتكلم من نُذُرِ وأصله: نُذُرِي. وحذفها فِي الْكلام في الْوقف فصيح وكثر في الْقرآن عند الْفواصل.[3]

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 37]

القول فيها كالقول في سابقتها والله أعلم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: 32].

والياء تحذف في الفواصل في أمثاله وهو المطرد، ومثله متاب فيما مضى[4]

(1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، لعائشة عبد الرحمن، نشر دار المعارف، ط3، 2004 ص270- 271.

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (ت671 هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1423 هـ/ 2003 م، ج 17 ص 135.

(3) التحرير والتنوير - ج 27 ص 187.

(4) حاشية الشهاب، ج 5 ص 241.

﴿فكيف كان عقاب﴾ ياء المتكلم محذوفة على وجود ما يدل عليها، والمحذوف مع وجود ما يدل عليه يكون كالمذكور، بل إن تقديره بجهله مذكور، لم يبين الله سبحانه وتعالى العقاب، ولكن أشار إليه إشارة تدل عليه وله، وعلى أنه كان حاسما قاطعا فمن غرق، أو جعل الأرض سافلها، ومن ريح صرصر عاتية، ولقد قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[الحج : 48].[1]

وحذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه بأدنى نسبة كاف في المراد وإن كان المعذب جميع العباد.[2]

هذا أهم ما وقفت عليه في بحثي وهي بعض أمثلة حذف الأحرف أو زيادتها في القرآن الكريم محاولا العثور على سر معنوي لهذا التغاير.

(1) زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي، دط، دت، ج 1 ص 3955.

(2) نظم الدرر، ج 6 ص 486.

المطلب الثاني:

الزيادة

زيادة حرف المد نحو:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ **الظُّنُونَا**﴾[1].

والذي في أواخر الآيات الجارية مجرى أواخر الأبيات نحو ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ ﴿وأضلونا السبيلا﴾ لكن هذه الألف لا تثبت معنى وإنما ذلك لإصلاح اللفظ[2].

والحقيقة أن الله عزّ وجلّ لا يعجزه شيء، ولا تعتريه ضرورة، ولا يحتاج لإصلاح لفظ كي يتماشى مع نظم الكلام.

وقرئ ﴿الظنون﴾ بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس، وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة، كما زادها في القافية من قال:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا** وقولي إنْ أصَبتُ لقَد أصَابَا[3]

وكذلك الرسولا و السبيلا. وقرئ بزيادتها في الوصل أيضاً، إجراء له مجرى الوقف[4].

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾: الألف لبيان الحركة، إذ لو وقف بالسكون لخفي إعراب الكلمة، وكما تدخل الهاء لبيان الحركة في ﴿مالِيَهْ﴾ و ﴿حِسابِيَهْ﴾ [5].

اختلف القراء في هذه الألف في الظنونا فأثبتها وصلا ووقفا نافع وابن عامر وأبو بكر ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو والكسائي وتمسّكوا بخط المصحف العثماني وجميع المصاحف في جميع البلدان، فإن الألف فيها كلها ثابتة واختار هذه القراءة أبو عبيد إلا أنه قال: لا ينبغي للقارئ أن يدرج القراءة بعدهن بل يقف عليهن، وتمسكوا أيضا بما في أشعار العرب من مثل هذا، وقرأ أبو

---

(1)سورة الأحزاب: 10.

(2) غريب القرآن للأصفهاني، ص 35.

(3) ديوان جرير، لجرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (114ه)، نشر دار بيروت للطباعة-بيروت، دط، 1406هـ-1986م، ص57.

(4) الكشاف ج3، ص535.

(5) إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج 2 ص 669.

عمرو وحمزة والجحدري ويعقوب بحذفها في الوصل والوقف معا وقالوا هي من زيادات الخط فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها وأما في الشعر فهو يجوز فيه للضرورة ما لا يجوز في غيره، وقرأ ابن كثير والكسائي وابن محيصن بإثباتها وقفا وحذفها وصلا وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الألف هي التي تسميها النحاة ألف الإطلاق والكلام فيها معروف وهكذا اختلف القراء في الألف التي في قوله الرسولا والسبيلا كما سيأتي في آخر هذه السورة[1].

﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ تسمى الألف في النحو "ألف الإطلاق" كلمة ظنون إذا انتهت بساكن يسمى مقيّد. الظنونا كثيرة ومتشعبة واختلفوا وتشابكوا فاختلفت الظنون ولذا جاءت بالإطلاق فوجب استخدام الألف لإطلاق الظنون[2].

مثال آخر:

في أول سورة الأحزاب: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3]

جاءت كلمة ﴿السبيل﴾ في آخر الآية الرابعة بينما جاء ما قبلها وبعدها بالألف، وفي أواخر سورة الأحزاب: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا **الرَّسُولاَ** * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا **السَّبِيلاَ**﴾[4]جاءت كلمة السبيلا بالألف، والكلام في هذه

(1) البحر المحيط ج8 ص 459.

(2) من محاضرة بعنوان (أسرار البيان في التعبير القرآني) ألقاها الدكتور فاضل السامرائي ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002م، منشورة بموقع إسلاميات:
.http://www.islamiyyat.com/lamasat/drfadel/fadelmo7adrat.html

(3)سورة الأحزاب: 3 – 5.

(4)سورة الأحزاب: 66، 67.

الآيات عن هؤلاء في النار و يمدون أصواتهم في النار و ﴿الرسولا﴾ بالألف هو صوت الباكي أما في أول السورة فليس هناك عذاب فجاءت على حالها ﴿السبيل﴾ وليست السبيلا، تصور الحالة الطبيعية من اصطراخ فجاءت الألف تعبيراً عن حالهم وهم يصطرخون في النار في كلمة ﴿الرسولا﴾ في أواخر السورة[1].

والسبيلا مفعول به ثاني قال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والإشارة إلى أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف[2].

إثبات هاء السكت نحو:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا **كِتَابِيَهْ** * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ **حِسَابِيَهْ** * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ **كِتَابِيَهْ** * وَلَمْ أَدْرِ مَا **حِسَابِيَهْ** * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي **مَالِيَهْ** * هَلَكَ عَنِّي **سُلْطَانِيَهْ**﴾[3]

﴿وَمَا أَدْرَاكَ **مَاهِيَهْ**﴾[4].

والأصل "كتابي" فأدخلت الهاء لتبين فتحة الياء، وكان الهاء للوقف، وكذلك في أخواته: ﴿حسابيه﴾، و﴿ماليه﴾، و﴿سلطانيه﴾ وفي القارعة ﴿ماهيه﴾. وقراءة العامة بالهاء فيهن في الوقف والوصل معا؛ لأنهن وقعن في المصحف بالهاء فلا تترك. واختار أبو عبيد أن يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في إلحاق الهاء في السكت ويوافق الخط. وقرأ ابن محيصن ومجاهد وحميد ويعقوب

(1) التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، نشر دار عمار-عمان-الأردن، ط4، 2006م، ص104.

(2) إعراب القرآن وبيانه - ج8 ص 52.

(3)سورة الحاقة: 19 - 29.

(4)سورة القارعة:10.

بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف فيهن. ووافقهم حمزة في: ﴿حسابيه﴾، و﴿ماليه﴾، و﴿ماهيه﴾ في القارعة. وجملة هذه الحروف سبعة. واختار أبو حاتم قراءة يعقوب ومن معه إتباعا للغة. ومن قرأه نفيا للوصل بالهاء فهو على نية الوقف[1].

﴿ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ﴾..﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ﴾.. فلا المال أغنى أو نفع. ولا السلطان بقي أو دفع.. والرنة الحزينة الحسيرة المديدة في طرف الفاصلة الساكنة وفي ياء العلة قبلها بعد المد بالألف، في تحزن وتحسر.. هي جزء من ظلال الموقف الموحية بالحسرة والأسى إيحاء عميقا بليغا[2].

في سورة الحاقّة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[3]من الناحية اللغوية هنا كقاعدة التي فيها ياء المتكلم يجوز فيها الفتح و السكون (كتابي وكتابيه) من سكّن الياء يقول ﴿كتابي﴾ ومن فتح الياء يقول ﴿كتابيه﴾.

الفاصلة القرآنية من حيث المعنى ﴿ماليه، حسابيه، كتابيه، سلطانيه﴾ لماذا جاءت الهاء؟ هذا الكلام يقال في يوم الحشر وهو يوم ثقيل كما أخبرنا سبحانه وتعالى ووصفه بيوم عسير وأنه عبوس قمطرير والناس في ذلك اليوم يبقون خمسين ألف سنة في هذه الشدة حتى يفزعون إلى الأنبياء. والهاء أشبه باللهاة ﴿المتعبين﴾ تصور المشهد الذي هم فيه جميعاً من تعب وعناء فاختارها سبحانه لمراعاة الموقف الذي هم فيه كما اختار الألف في البكاء سابقاً. إذن استخدام حرف الهاء في فواصل هذه السورة يدل على التعب والعناء والألم والهاء مأخوذة من الآه[4].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن - ج18 ص 269-270.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، نشر دار الشروق ــ القاهرة، ط7، 1978م، ج6 ص 3682.

(3)سورة الحاقة: 19 ، 20.

(4)من محاضرة بعنوان (أسرار البيان في التعبير القرآني) ألقاها الدكتور فاضل السامرائي ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002م، منشورة بموقع إسلاميات:

.http://www.islamiyyat.com/lamasat/drfadel/fadelmo7adrat.html

ومنه إبقاء حرف المد مع الجازم نحو:

﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ **تَخْشَى**﴾[1]

﴿ولا تخشى﴾ عطف على لا تخاف داخل في حكمه؛ أي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف؛ أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والألف للإطلاق كما في قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة إلى إزاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنا لمدركون[2]

وقراءة الجمهور ﴿لا تخاف﴾ بالرفع، فلا إشكال في قوله: ﴿وَلاَ تخشى﴾ لأنه فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف، معطوف على فعل مضارع مرفوع هو قوله: ﴿لا تَخَافُ﴾. وأما على قراءة حمزة "لاَ تَخَفْ" بالجزم ففي قوله: ﴿وَلاَ تَخْشَى﴾ إشكال معروف، وهو أنه معطوف على مضارع مجزوم، وذلك يقتضي جزمه، ولو جزم لحذفت الألف من ﴿تَخْشَى﴾ على حد قوله في الخلاصة:

وَالرَّفْعَ فِيهِمَا انْوِ وَاحْذِفْ جَازِماً ** ثَلاَثَهُنَّ تَقْضِ حُكْماً لازِماً

والألف لم تحذف فوقع الإشكال بسبب ذلك. وأجيب عنه من ثلاثة أوجه:

الأول أن ﴿وَلاَ تَخْشَى﴾ مستأنف خبر مبتدأ محذوف، تقديره: وأنت لا تخشى، أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى.

والثاني أن الفعل مجزوم، والألف ليست هي الألف التي في موضع لام الكلمة، ولكنها زيدت للإطلاق من أجل الفاصلة، كقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾، وقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَاْ﴾.

والثالث أن إشباع الحركة بحرف مد يناسبها أسلوب معروف من أساليب اللغة العربية، كقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

---

(1)سورة طه:77.

(2) تفسير أبي السعود، ج 6، ص 31.

وتَضْحَكُ منِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ** كأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيراً يَمانِيا [1]

وقول الراجز :

إذا العجوزُ غَضِبَت فَطلّقِ ** ولا تَرَضَّاها ولا تَمَلَّقِ

وقول الآخر :

أقول إذا خرت على الكلكال ** يا ناقتي ما جلت من مجال

وقول عنترة في معلقته :

ينْباعُ منْ ذِفْرَى غَضوبٍ جَسرَة ** زيافةٍ مثل الفَنيق الــمُكْدَمِ

فالأصل في البيت الأول: كأن لم تر، ولكن الفتحة أشبعت. والأصل في الثاني ولا ترضها، ولكن الفتحة أشبعت. والأصل في الثالث على الكلكال يعني الصدر، ولكن الفتحة أشبعت. والأصل في الرابع ينبع يعني أن العرق ينبع من عظم الذفرى من ناقته على التحقيق، ولكن الفتحة أشبعت، وإشباع الفتحة بألف في هذه الأبيات وأمثالها مما لم نذكره ليس لضرورة للشعر لتصريح علماء العربية بأنه أسلوب عربي معروف. ويؤيد ذلك أنه مسموع في النثر، كقولهم في النثر: كلكال، وخاتام، وداناق، يعنون كلكلاً، وخاتماً، ودانقاً. [2]

المعنى من إبقاء حرف العلة ملازما لفعل الخشية —والله أعلم- دلالة على ملازمة الأمن والرعاية الربانية تسلية لموسى وقومه وهم يعبرون البحر حتى مع وجود الخوف من الغرق.

ومثال آخر:﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ **تَنْسَى**﴾[3].

وتنسى فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف وقيل لا ناهية وتنسى فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلة ثم أتي بالألف دعامة لفتح السين ليوافق

(1) المفضليات، للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي(ت 178هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، نشر دار المعارف- بيروت، ط6، 1383هـ، ص 158.

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، الوفاة: 1393هـ، تح: مكتب البحوث والدراسات، نشر دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- 1415هـ- 1995م ، ج4 ص31.

(3) الأعلى:6.

رؤوس الآي كقوله: السبيلا، وقد أحسن أبو حيان عندما شجب هذا الوجه قال «وهذا قول ضعيف ومفهوم الآية في غاية الظهور وقد تعسفوا في فهمها»[1].

وعن بعضهم أن قوله ﴿فلا تنسى﴾ نهي لا خبر، والألف مزيدة للفاصلة نحو ﴿الظنونا﴾ و﴿السبيلا﴾ وضعف بأن الزيادة خلاف الأصل فلا يصار إليها إلا لدليل ظاهر[2].

قال عز وجل ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ يعني سنعلمك القرآن ويترل عليك فلا تنسى... ويقال ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ يعني سنحفظه عليك حتى لا تنسى شيئا...[3].

وظاهر سبب الإبقاء على حرف العلة في الفعل المجزوم والله أعلم، أنه كما تعهد الله تعالى بحفظ القرآن كله في صدر رسول الله ﷺ، حفظ على الفعل كل حروفه دلالة على الحفظ الشامل للقرآن.

(1) إعراب القرآن وبيانه – ج10 ص 450-451.

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تح: زكريا عميران، نشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان،ط1، 1416 هـ/ 1996 م، ج 6 ص 484.

(3) تفسير السمرقندي – بحر العلوم–، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي (ت367هـ) ، نشر دار الفكر– بيروت، تح: محمود مطرجي، ج 3، ص 549.

الفصل الثالث:

مغايرة الفواصل في متشابهات القرآن.

📖**المبحث الأول: معنى المتشابه اللفظي.**

📖**المبحث الثاني:** إبدال فاصلة بغيرها.

📖**المبحث الثالث:** توطيء الفاصلة بحرف أو لفظة في مشابهتها.

التعريف بعلم متشابه القرآن.

التعريف بالمتشابه لغة:

1 - قال إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ) والمتشابهات من الأمور: (المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات)[1].

2- قال محمود بن عمر الزمخشري(ت538هـ): تشابه الشيئان واشتبها، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضا) [2] .

المتشابه في الإصلاح :

أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعنى، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة (وأتوا به متشابها) [البقرة: 25] أي: متفق المناظر ومختلف الطعوم. وقد يقال لكل ما غمض ودق: ومتشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، كما يقال للحروف المقطعة في أوائل السور: متشابه لخفاء معناها، وليس من جهة الشبه بغيرها والتباسا بها.

والمتشابه مثل المشكل، لأنه أشكل ، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله [3].

وقال محمد عبد الرؤوف المناوي(ت1031هـ): (المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل)[4].

التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم:

وبالرجوع إلى الكتب المصنفة في علوم القرآن يبدو أن أصحابها تناولوا المتشابه في نوعين منفصلين، وهما:

الأول: المتشابه الذي يقابل المحكم.

والثاني: المتشابه اللفظي الذي يحصل في بعض آيات القرآن الكريم.

---

(1) تاج اللغة وصحاح العربية. للجوهري إسماعيل بن حماد (ت393هـ). نشر دار العلم للملايين- بيروت. ط 4- يناير 1990، ج7 ص 86.

(2) أساس البلاغة ج1 ص 320.

(3) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، أبي محمد عبد اللّه بن مسلم الدينوري، ت276 ه، تح: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، دط،2007م، ص 68.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، ج1 ص 633.

والنوع الأول: ليس مجال بحثي الآن في هذه الرسالة، وقد تناوله الزركشي في كتابه[البرهان][1] تحت عنوان: (النوع السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه). وتناوله السيوطي في [الإتقان][2] تحت عنوان:(النوع الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه)، وبحث أيضا في هذا الموضوع في كتابه [معترك الأقران][3] تحت عنوان:(الوجه التاسع من وجوه إعجازه: انقسامه إلى محكم ومتشابه).

وأما النوع الثاني فهو المتشابه اللفظ في بعض آيات القرآن وسوره، وهذا هو موضوع بحثي.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من المتشابه قد تناوله علماء الدراسات القرآنية تحت تسمية مختلفة، ولعل ذلك يرجع إلى زيادة في البيان والإيضاح. فمثلا:

قد تناوله الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي(ت597 هـــ) في كتابه[فنون الأفنان] تحت عنوان: أبواب المتشابه، وقال: (فنحن نذكر الآن من محاسن المتشابه في اللفظ: أبواب المتشابه)[4]، وأورد تحت هذا العنوان بعض أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بذكر أمثلة كثيرة، من غير ذكر السبب والحكمة في ذلك.

وسمى الإمام الزركشي(ت 794 هـــ) في كتابه [البرهان في علوم القرآن] هذا النوع علم المتشابه[5].

وكل ما تقدم يكشف الذين صنفوا في علوم القرآن وأشاروا إلى هذا التفريق بين المتشابه الذي يقابل المحكم وبين المتشابه في اللفظ، وراعوا هذا التقسيم في مصنفاتهم، وجعلوا كل قسم علما خاصا مستقلا من علوم القرآن.

---

(1) البرهان للزركشي، ج2 ص 68 .

(2) الإتقان في علوم القرآن ج2 ص 384.

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، نشر دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان، ط1، 1408هـــ، ج1 ص 103.

(4) فنون الأفنان في عين علوم القرآن لابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، تح: حسن ضياء الدين عتر، نشر دار البشائر الاسلامية، ط1، 1407هـــ، ص376 .

(5) البرهان للزركشي، ج1 ص 112 .

تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحا:

ويجدر في هذا المقام إيراد ما ذكره العلماء في تعريف علم المتشابه اللفظي الذي هو موضوع بحثي:

قال السيوطي (ت911 هـــ) في إتقان[1]: (والقصد إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة بأن يأتي: في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله تعالى: ﴿وادخلوا الباب سجادا وقولوا حطة﴾ [البقرة 58]، وفي [الأعراف 161]: ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا﴾.. ، وفي موضع بزيادة وفي آخر بدونها.. ، وفي موضع معرفا وفي آخر منكرا، أو مفردا وفي آخر جمعا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغما وفي آخر مفكوكا). اهـــ.

هذا التعريف عليه ملاحظة أنه قصر المتشابه اللفظي على ما ورد في الموضوع الواحد، وإنما يرد في فواتح السور، وأوائل الآيات، وأثناءها، وفي أواخرها.

وفي نهاية المطاف يمكن القول: إن المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان.

موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

موضوع هذا العلم هو الآيات القرآنية باعتبار ما فيها من تشابه لفظي. و نتعرف به على تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن الكريم في تكرير بعض آياته في عدة مواضع بالكلمات المتفقة، أو تقديما وتأخيرا، وذكرا وحذفا...، إلى غير ذلك.

---

(1) البرهان للزركشي، ج1 ص 112. والإتقان في علوم القرآن، ج3 ص390- 391.
وكتاب الكليات، تح: عدنان درويش، نشر مؤسسة الرسالة- بيروت- 1419هـــ -1998م، ص845.

حكمة هذا العلم، وأهميته، و فوائده:

حكمته:(التصرف في الكلام، والإتيان به على ضروب ، ليعلمهم- أي العرب- عجزهم عن جميع طرق ذلك: مبتدأ به ومتكررا)[1]، وهذا التصرف في اللفظ بريء من الإسراف والتقتير، حيث أنك تجد القرآن الكريم قد احتفظ بالمعنى في صورة كاملة لا ينقص شيئا يعتبر عنصرا أصليا فيه، كما أنه لا يزيد شيئا يعتبر دخيلا فيه وغريبا عنه، بل هو كما قال الله تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [هود : 1].

أهميته: ترجع أهميته هذا العلم إلى تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية، وإذ أن علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي، لا عمل للبشر فيه مع تنوع استعمالاته من تقديم وتأخير، أو زيادة وحذف، أو تعريف وتنكير، أو إبدال شيء منه بشيء آخر في الموضوع الواحد.

وترجع أهميته أيضا إلى أهمية نشأته، حيث إنه أنشئ حفاظا على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، وتيسيرا لحفظة كتاب الله عز وجل، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيرا من وجوه إعجازه وأسراره التي تنفذ.

من فوائد هذا العلم :

1-من خلال دراسة هذا العلم نلاحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارا فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار، وبذلك نتعرف على أن لأسلوب القرآن الكريم طابعا خاصا يسلكه في اختيار ألفاظه وتراكيبه، ولذا فإن هذا العلم هو أساس هام للدراسات اللفظية في القرآن الكريم.

ومن ناحية أخرى فإن هذا العلم يكشف لنا أن الآيات المتشابهة في القرآن الكريم مترابطة الأجزاء والجمل مع تنويع الأسلوب في الاستعمالات القرآنية، وفي قضية واحدة وموضوع واحد.

(1) البرهان للزركشي، ج1 ص 112 .

2- أنه يرد على بعض المشككين والملحدين الذين يطعنون في القرآن من خلال ما تشابه أو تماثل أو تكرر من ألفاظ القرآن وآياته، مدعين أن ما به من المتشابه اللفظي غير مفهوم، أو تكرار لا هدف له.

3- من عجيب أمر هذا العلم "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم" أنه كما كان دليل إعجاز من ناحية، كان أكبر عون على حفظ كتاب الله تعالى، إذ أن التصنيف في هذا العلم يساعد حفاظ القرآن الكريم على ضبط حفظهم بأداء كل لفظ في موطنه، دون ما التباس بالمتشابه معه.

4- إن علم الآيات المتشابهات يملأ النفس إيمانا بعظمة الله تعالى وقدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن الكريم، ودراسته تعين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وغزارة معانيه وأسراره.

الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه:

التأليف في علم متشابه القرآن الكريم على نوعين، وهما:

أ- جمع الآيات المتشابهات لفظا.

ب- توجيه الآيات المتشابهات لفظا.

الكتب المتخصصة في توجيه الآيات المتشابهة لفظا:

توجيه الآيات المتشابهة يعتبر نوعا مستقلا بذاته في علم التفسير ، حيث أفردت له مؤلفات خاصة كما أفردت مؤلفات مستقلة تتعلق بجوانب خاصة من تفسير القرآن الكريم ، مثل تفسير مبهمات القرآن، وتفسير آيات الأحكام وتفسير غريب القرآن.

ومن المؤلفات في توجيه الآيات المتشابهات:

1- درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب (ت420هـ).

2- البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة الكرماني ت505 هـ.

3- ملاك التأويل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ت 708هـ .

4- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تأليف بدر الدين بن جماعة ت733هـ.

5- كتاب قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي ت 911هـ.

6 - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تأليف أبي زكريا الأنصاري ت926هـ.

7- أضواء على متشابهات القرآن يحتوي على 1651 سؤال وجواب، بقلم الشيخ خليل ياسين.

كتب أخرى اهتمت في ثناياها بتوجيه تلك الآيات المتشابهات:

ومن تلك الكتب:

1- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ت 276هـ

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ت 310هـ.

3- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ت 338هـ.

4- تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد ت 415هـ .

5- الكشاف للزمخشري (538هـ.

6- المحرر الوجيز لابن عطية ت 542هـ.

7- زاد المسير لابن الجوزي ت 597 هـ.

8- التفسير الكبير للفخر الرازي 606هـ .

9- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ت 671 هـ .

10- أنموذج جليل في أسئالة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح توفي بعد سنة 691 هـ.

11- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسين بن محمد النيسابوري ت 728هـ.

12- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ت 741هـ.

13- البحر المحيط لأبي حيان ت 745هـ.

14- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ت 756هـ.

15-تفسير ابن كثير ت 774هـ.

16- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت817هـ.

17- الفتوحات الإلاهية، المعروف بحاشية الجمل للشيخ سليمان بن عمر ت 1204هـ.
18 روح المعاني للآلوسي ت 1270هـ.
19- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ت 1393 هـ.

تنبيه:

هناك بعض الكتب ألفت في المتشابه، بحث أصحابها في آيات الصفات والعقائد، أو في المتشابه الذي يقابل المحكم، دون أن يبحثوا في المتشابه اللفظي، نذكر بعضها هنا دفعا للاشتباه، وتحاشيا من التباسها بموضوع البحث:

1- حل الآيات المتشابهات-كتاب في حل المشكل والمتشابهات من الأحاديث والآيات والرد على الملحدين-، للشيخ الجليل الإمام أبي بكر محمد بن حسن بن فورك الأصبهاني ت406هـ.
2- حقائق التأويل في متشابه التنزيل، تأليف السيد الشريف الرضي ت 406.
3- متشابه القرآن لقاضي عبد الجبار الهمذاني ت 415هـ.
4- متشابهات القرآن لمحمد بن عبد المؤمن الدمشقي المصري المعروف باين اللبان ت749هـ.
5- تفسير الآيات المتشابهات، للشيخ ملا علي القارئ ت 1014 هـ.
6- الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية.

المبحث الثاني :

إبدال فاصلة بغيرها .

سورة الأعراف مع سورة النمل:

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:81].

﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:55].

فأما المسألة الأولى: وهي مجيء ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ في الأعراف، و﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ في سورة النمل، فالمسرف مجهَّل بإسرافه، والجاهل مسرف بأفعاله، إذ الإسراف مجاوزة الحد الواجب إلى الفساد، فيجوز أن يكون لوط عليه السلام لما كانت له مع قومه مقامات قال في بعضها هذا اللفظ، وفي بعضها اللفظ الآخر، و لم يناف أحدهما الآخر.

ثم اختصاص مسرفين بسورة الأعراف، فلأن الآيات التي قبلها فواصلها أسماء جمعت هذا الجمع، من حيث قال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض﴾[الأعراف:74] فكانت فاصلة هذه الآية: ﴿مفسدين﴾ وفاصلة ما بعدها: ﴿مؤمنون﴾ وما بعدها: ﴿كافرون﴾ وبعدها: ﴿المرسلين﴾ وبعدها: ﴿جاثمين﴾ وبعدها: ﴿الناصحين﴾، وبعد ذلك إذ انتهى إلى هذه الآية ﴿العالمين﴾ فكان الاسم أحق بالوضع في هذا المكان لتتساوى الفواصل، وفي سورة النمل تقدم الآية التي فاصلتها: ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾[النمل:55]. قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون * ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾[النمل:52-54] فلما تناسقت هذه الأفعال في هذه الفواصل التي قبل هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة كان بناؤها على ما قبلها بلفظ الفعل أولى بها، فجاء: ﴿تجهلون﴾ في هذا الموضع و ﴿مسرفون﴾ في الأول لهذا القصد و الله تعالى أعلم.[1]

قوله ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ في هذه السورة بلفظ الاسم وفي النمل ﴿قوم تجهلون﴾ بلفظ الفعل لأن كل إسراف جهل و كل جهل إسراف ثم ختم الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤوس الآيات التي تقدمت وكلها أسماء ﴿العالمين﴾، ﴿الناصحين﴾، ﴿جاثمين﴾، ﴿المرسلين﴾، ﴿كافرون﴾،

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، ص 205.

﴿مؤمنون﴾، ﴿مفسدين﴾، وفي النمل وافق ما قبلها من الآيات وكلها أفعال ﴿يبصرون﴾، ﴿يتقون﴾، ﴿تعلمون﴾.[1]

سورة هود مع سورة النحل

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * **لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**﴾ **[هود:20 – 22]**.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * **لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ **[النحل:107 – 109]**.

للسائل أن يسأل عما خصص كل واحد من اللفظين بمكانه دون الآخر؟

والجواب أن يقال: إن الآية التي في سورة هود قد تقدمها قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ وإنما قال: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ لأنه خبر عن قوم أخبر عنهم بالفعل الذي استحقوا به مضاعفة العذاب في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[هود:19] فإذا صدوا هم

عن الدين صدودا، وصدوا غيرهم عنه صدا استحقوا تضعيف العذاب، لأنهم ضلوا وأضلوا، فهذا للأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى، وهاهنا ما يضامه من طريق اللفظ، وهو أن ما قبله من

(1) أسرار التكرار في القرآن، للكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، تح: عبد القادر احمد عطا، نشر دار الاعتصام– القاهرة، ط2، 1396هـ، ص 86.

الفواصل ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قبل نونه و واوه متحركان، مستندان إلى ما قبلهما، فاجتماع المعنى الذي ذكرناه، والتوفقة بين الفواصل التي بينا أوجبا اختيار ﴿الأخسرين﴾ في هذا الموضع على ﴿الخاسرين﴾.

وأما التي في سورة النحل فإنها في آية لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، وإنما قال فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[النحل:107] فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب، ثم كانت الفواصل التي حملت هذه عليها وزان ﴿الكافرين﴾ و ﴿الغافلين﴾ فاقتضى هذان الشيئان أن يقال: ﴿هم الخاسرون﴾ كما اقتضى السببان في الأولى المخالفان للسببين هنا أن قال: ﴿الأخسرون﴾ [1].

قوله ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾، وفي النحل ﴿هم الخاسرون﴾ لأن هؤلاء صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا فهم الأخسرون يضاعف لهم العذاب وفي النحل صدوا فهم الخاسرون، قال الخطيب لأن ما قبلها في هذه السورة ﴿يبصرون﴾ ﴿يفترون﴾ لا يعتمدان على ألف بينهما وفي النحل ﴿الكافرون﴾ و ﴿و الغافلون﴾ فللموافقة بين الفواصل جاء في هذه السورة ﴿الأخسرون﴾ وفي النحل ﴿الخاسرون﴾.[2]

وفي اللغة الأخسر هو أكثر خسراناً من الخاسر، فسياق الآيات في سورة هود يتحدث عن الذين صدوا عن سبيل الله وصدّوا غيرهم أيضاً، والسياق في سورة النحل فيمن صدّ عن سبيل الله وحده ولم يصُدّ أحداً غيره فمن المؤكّد إذن أن الذي يصدّ نفسه وغيره عن سبيل الله أخسر من الذي صدّ نفسه عن سبيل الله لوحده فقط.

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، ص238- 239. و غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج4 ص 310.

(2) أسرار التكرار في القرآن، ص 106.

سورة الحجر

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر:73].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:83].

قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ نصب على الحال أي وقت شروق الشمس يقال أشرقت الشمس أي أضاءت وشرقت إذا طلعت وقيل: هما لغتان بمعنى وأشرق القوم أي دخلوا في وقت شروق الشمس مثل أصبحوا وأمسوا وهو المراد في هذه الآية وقيل: أراد شروق الفجر وقيل: أول العذاب كان عند الصبح وامتد إلى شروق الشمس.[1]

﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ أي في وقت الصبح.[2]

قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ يقال: أشرقت الشمس إذا طلعت، فإن قيل: قد قال قبل هذا: ﴿مصبحين﴾، وقال هاهنا: ﴿مشرقين﴾ فكيف وجه الجمع؟

الجواب من وجهين: أحدهما: أن ابتداء العذاب كان من الصبح، وتمامه عند الإشراق.

والجواب الثاني: أن الإشراق هاهنا بمعنى الإصباح، وهو جائز في كلام العرب.[3]

تشير الآيتان إلى وقت عذاب كل من قوم لوط وقوم ثمود، إذ قد لا يجد القارئ لهما أي فرق بين الإصباح والإشراق، بينما يدل الإصباح على بزوغ الفجر ويدل الإشراق على طلوع الشمس.

ففي الآية الأولى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[الحجر: 73، 74]، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عَنان السماء ثم قلْبها، وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السّجيل عليهم[4]، فالإنسان إذا ما أراد أن يرى منظر

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج10 ص 42.

(2) المصدر نفسه، ج10 ص 53.

(3) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت 489هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم، نشر دار الوطن– الرياض، نشر1418هـ-1997م، -السعودية-، ج3 ص146.

(4) تفسير ابن كثير، ج4 ص 543..

شروق الشمس اختار المرتفع، فكان شروق الشمس أظهر عند رفع بلادهم إلى عنان السماء لهذا ذكر الأنسب وهو الإشراق على خلاف الآية الأخرى والله أعلم، بالإضافة إلى مشاكلة الفواصل والمناسبة الصوتية.

سورة الأنبياء وسورة المؤمنون:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92].

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52].

وأما قوله في الآية الأولى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ واختصاصها دون قوله: ﴿فاتقون﴾ فلأنه خطاب للفرق التي تفرقت في طرق الباطل، و لم تخلص العبادة للّه فنبّأهم إلى أن يعبدوه.

والتي في سورة المؤمنين إنما هي خطاب للرسل عليهم السلام لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وقد جاء في خطاب الأنبياء صلوات اللّه عليهم وسلامه والمؤمنين والصالحات بعدهم: ﴿اتقوا اللّه﴾، قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق اللّه﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

فلمّا كان أكثر مَن خوطب في السورة الأخيرة الأنبياء والمؤمنون، وهم يعبدون الله جلّ ذكره، وضمّ إليهم غيرهم من الفرق غُلِّبوا عليهم فخوطبوا بما يخاطَب به المؤمنون، وهو: ﴿اتقوا الله﴾ إذ كان أكثرهم له عابدين، ومعنى ﴿اتقوا﴾: احترزوا بطاعته ممّا أعدّه لأهل معصيته، وامتنعوا بموجبات الثواب عن موجبات العقاب، فكان هذا موضع ﴿فاتقون﴾ وفي الأولى موضع ﴿فاعبدون﴾. (1)

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، ص917-918.

الجواب عن الأول أن سورة الأنبياء لم يرد فيها ذكر لفظ التقوى في أمر ولا خبر من أولها إلى آخرها، وورد الأمر بالعبادة في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25]. وأما سورة المؤمنون فتكرر فيها ذكر التقوى في ثلاثة مواضع، أولها- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:23]، وفي ما بعد الآية المتكلم فيها ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون:87]، فروعي في الأولى ما تقدمها، ونوسب بالثانية ما اكتنفها، وأيضاً فإن العبادة مأمور بها ليحصل الاتقاء، فهي مقدمة في الطلب لتحصيل ما يتسبب عنها إذا كانت الإجابة، وعلى ذلك ورد دعاء الخلق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21]، وفي سورة المؤمنون المذكورة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون:23]، فالاتصاف بالتقوى ثان عن الاتصاف بالعبادة، فقيل في الأنبياء: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ وفي سورة المؤمنون: ﴿فَاتَّقُونِ﴾، وكلاهما ذكر على مقتضى الترتيب، وأيضاً فإنا إذا اعتبرنا ما قدم من قصص الرسل في السورتين وجدنا الوارد في سورة الأنبياء مقصوراً على ذكر منحهم وتخليصهم وتأييدهم من لدن قوله تعالى في إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾[الأنبياء:51]، وقوله: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:73]، فتضمنت هذه الآي بضعة عشر نبياً، أولهم إبراهيم وآخرهم من أعقب ذكره بالآية المذكورة، وقد اقتصر من قصصهم في هذه الآي على ما يطلع المؤمنين على تكفله سبحانه بالمصطفين من عباده وما اختصهم به، و لم يرد مع ذلك تكذيب قومهم لهم، ولا ما يرجع إلى هذا وكل هذا تأنيس وذكر نعم وآلاء وألطاف يناسبها قوله: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لكونه أمراً بالعبادة مجرداً عما في قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ من التخويف.[1]

(1) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، للإمام أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت، ج2 ص 353-354.

سورة الصافات

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات:16].

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:53].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

وقال في هذه السورة: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾

للسائل أن يسأل عن قوله: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ أولا، وفيما بعده ﴿لَمدينون﴾، ولماذا اختلفا في المكانين وإن كانا فيما يراد من تحقيق الإحياء بعد الموت سواء؟.

والجواب أن يقال: إن الأول حكاية ما قاله الكفار من إنكار البعث، والمبعوثُ هو الذي يبعَث من قبره ويحيا بعد موته، والمدين هو المجازى بما كان من كسبه، والبعث قبل الجزاء، وهو يفعَل من أجله. وحكاية الآخر الذي قال: ﴿أئنا لَمدينون﴾ إنما هي عند حصوله في النار، وهو الجزاء الذي أنكره لقوله تعالى ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ فهذا المؤمن الذي حكى الله تعالى عنه قوله، وأنه أخبر عن قرينه في الدنيا بأنه كان ينكر أن يحيى ويدان بما صنعه والذي إذا رآه في سَواء الجحيم: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ فالتقريع على ما أنكر إنما يقع إذا تحقّق وحصل فيه من كفره، نعوذ بالله من عقابه.[1]

والظاهر أن لفظ (مبعوثون) مناسب لمقام إنكار البعث الذي دل عليه سؤال الله تعالى لهم في قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[الصافات:11]، وأما لفظ (مدينون) فيه إنكار للحساب لا البعث فجاء موافقا لما قبله من ذكر جزاء أهل الجنة، وتوعد الكافرين بالنار –والله أعلم–.

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، ص 1089-1091.

المبحث الثالث:

توطيء الفاصلة بحرف أو لفظة في مشابهتها

سورة الأعراف مع سورة هود:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[الأعراف:45].

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[هود:19].

قال الكرماني: "اختصت هذه الآية على نظيرها في الأعراف بزيادة ﴿هم﴾ في قوله: ﴿هم كافرون﴾ وهو توكيد يفيد تقوّي الحكم، لأن المقام هنا مقام تسجيل إنكارهم البعث وتقريرِه إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب فحكي به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أُدخلوا النار وظهر عقابهم فلا غَرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلا المقالتين واقع وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة لمقام الحكاية.[1]

قوله ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ ما في هذه السورة جاء على القياس وتقديره وهم كافرون بالآخرة فقدم بالآخرة تصحيح الفواصل الآي وفي هود لما تقدم ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[هود:18] ثم قال ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:18] ولم يقل عليهم والقياس ذلك ولو قال لالتبس أنهم هم أم غيرهم فكرر وقال ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[هود:19] ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم وليس هم ههنا للتوكيد كما زعم بعضهم لأن ذلك يزاد مع الألف واللام ملفوظا أو مقدرا.[2]

قال الخطيب الإسكافي: "للسائل أن يسأل عن إعادة هم في قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ في سورة هود، وترك ذلك في سورة الأعراف؟

والجواب أن يقال: إن الذي في سورة الأعراف جاء على أصله غير مزيد فيه ما يجري مجرى التوكيد، والذي في سورة هود جاء بعد قوله: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذي كذبوا على ربهم﴾ فأشير إليهم، ثم قال: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ فأظهر ذكر الظالمين في موضع الإضمار، ولو

(1) التحرير و التنوير، ج 12 ص 34.

(2) أسرار التكرار في القرآن، ص 80-81.

أجري على الحكم في إضمار الاسم عقيب الذكر لكان: ألا لعنة الله عليهم لأن المراد بالظالمين هم المشار إليهم بقوله: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ .

فلما أظهر مكان الإضمار تضمن معنى هم، أي: الظالمون هم الذين كذبوا على ربهم، وأشير بالكلام المتقدم إليهم، فلما استمر الكلام على الإضمار بعد ذكر الظالمين صار الظاهر كأنهم غير المشار إليهم بقوله: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ فأعيد هم في قوله: ﴿هم كافرون﴾ لتحقق الكفر عليهم بنسبة الأوصاف المتقدمة إليهم، وأولها كذبهم على ربهم، ثم ظلمهم لأنفسهم، وصدهم عن سبيل الله، وكفرهم في هذه الأفعال بالله واستحقاقهم به عقوبة الله في الآية.

فلما لم يصرِف الخبر الثاني في سورة الأعراف مصرِف ما ليس هو بالأول لم يحتج إلى توكيده.

ولما عدل في سورة هود عن إعادة الضمير إلى الأول، ووضع مكانه ظاهر يحتمل أن يكون غير الأول، وعنى هم أنهم هم، كان الموضع موضع توكيد لتحقيق الخبر عنهم بالكفر، وتثبيته عليهم بأوكد لفظ، لأنا لما قلنا: هم هم، فهو المعاد في قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾، إلا أنا نبين بذلك المكان مكان توكيد لنفرق بينه وبين الأول"[1].

قال ابن الزبير الغرناطي: "قوله تعالى:﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[الأعراف:44، 45] وفي سورة هود: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[هود: 18، 19] فزيد في هذه الآية ضمير الفصل و لم يزد في الأولى فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك؟

وجوابه والله أعلم: أن ابتداء الإخبار في الأعراف بحال هؤلاء الملعونين في الآيتين هو قوله تعالى في الأولى: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ وابتداء الاخبار عنهم في سورة هود قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:18] ففي هذا إطناب وتأمل ورود الظاهر في موضع المضمر من قوله ﴿على

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، ص193- 194.

الظالمين﴾ و لم يقل عليهم، فناسب زيادة ضمير الفصل وفى آية الأعراف إيجاز ناسبه سقوط هو لو لم يكن ما بين "أن" و"ألا" فإن ذلك مراعى فيما قصدناه فـــ"أن" أوجز من "ألا" و "أن" هنا حرف عبارة وتفسير وهي كالواردة فيقوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾[الأعراف:43] وفي قوله ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾[ص:6]، وتقع بعد ما يراد به القول وليس بلفظه وتفسر بـــ"أي" وأما "ألا" فاستفتاح وكل من الموضعين على ما يجب ويناسب ولو فرض العكس لما ناسب والله أعلم"[1].

سورة الشعراء مع سورة الصافات:

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:70].

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات:85].

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾[الشعراء:69- 71].

وفي سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات:83-87].

للسائل أن يسأل عن زيادة "ذا" في قوله في الصافات:﴿ماذا تعبدون﴾ وإخلاء ﴿ما﴾ في الشعراء منها؟

والجواب أن يقال: إن قوله: ﴿ما تعبدون﴾ معناه: أيّ شيء تعبدون، وقوله: "ماذا" في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: أن تكون "ما" وحدها اسما، و"ذا" بمعنى الذي، والمعنى: ما الذي تعبدون، و﴿تعبدون﴾ صلة لها.

(1) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل، ج1 ص 255- 256.

والآخر: أن تكون" ما" مع" ذا" اسما واحداً بمعنى: أيّ شيء، وهو في الحالين أبلغ من "ما" وحدها، إذا قيل: ما تفعل؟

فـــ ﴿ما تعبدون﴾ في سورة الشعراء إخبار عن تنبيهه لهم، لأنهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهم فأجابوه وقالوا: ﴿نعبد أصناماً فنظلُّ لها عاكفين﴾، فنبّه ثانياً بقوله: ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون﴾.

وأما: ﴿ماذا تعبدون﴾ في سورة الصافات فإنها تقريع، وهو حال بعد التنبيه، ولعلّهم إذا علموا بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لا يجيبون بإجابتهم في الأول، ثم أضاف تبكيتا إلى تبكيت، ولم يستدع منهم جواباً فقال: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فلما قصد في الأول التنبيه كانت "ما" كافية، ولمّا بالغ وقرّع استعمل اللفظ الأبلغ، وهو "ماذا" التي إن جعلت "ذا" منها بمعنى " الذي" فهو أبلغ من "ما" وحدها. وإنْ جُعلا اسما كان أيضاً أبلغ وأوكد من "ما" إذا خلت من "ذا.[1]

قال ابن جماعة: "مسألة: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾[الشعراء:70]، وفي الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾؟.

جوابه :أن ﴿مَاذَا﴾ أبلغ في الاستفهام من ﴿مَا﴾، فقوله هنا: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ له خارج مخرج الاستفهام عن حقيقة معبودهم، فلذلك أجابوه بقولهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.

وأما آية الصافات فهو استفهام توبيخ وتقريع بعد معرفته لمعبودهم ولذلك تمم كلامه بما يدل على الإنكار عليهم، فقال: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الآيات، ولذلك لم يجيبوه في آية الصافات لفهم قصد الإنكار عليهم.[2]

---

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، ص 965- 966.

(2) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لبدر الدين بن جماعة(ت733 هـــ)، تح: عبد الجواد خلف، نشر دار الوفاء ـــ المنصورة، ط1، 1410 هـــ/ 1990 م، ص 280.

الخاتمة

القرآن الكريم المعجزة الكبرى لا يفنى ولا تنقضي عجائبه، وهو معجزة الله الخالدة وهو نبع فياض معجز بفصاحته وأسلوبه وبلاغته، معجز كذلك بنظمه وحروفه وألفاظه ومخارجه وصفاته، ويعتبر الإعجاز البياني من أعظم وجوه الإعجاز لأنه ينتظم في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها أو طولها، لذلك أعجز هذا القرآن العرب وهم أرباب اللغة والبيان، فخضعت أعناقهم لبلاغته، ووقف العلماء شاخصين أمام بيانه .

أدّى نزول القرآن إلى تغيير مفاهيم كثيرة من الألفاظ التي عبّرت عن مقررات الدين الجديد القديم، كما أن القرآن أحدث تغييرا جوهريا على مستوى التركيب، وبين علماء الإعجاز قدرة القرآن على تجاوز أرقى تراكيب لغة الجاهلية، كما صفّى هذه اللغة من الألفاظ الركيكة، وأشاع بدلها أصفاها جرسا و أدقها تعبيرا وأحلاها نغما.

هذا البحث جـــاء ليبين الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية وعلاقته بموضوع الآية وذلك لبيان أهميتها ودورها في إبراز المعاني وجمال النسق.

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بتوضيح الفاصلة القرآنية التي يختم بها النص القرآني، وفي العصر الحديث ازداد اهتمام العلماء بدارستها وإبراز وجه الإعجاز البياني فيها، من هنا وجد الباحثون أن الفاصلة القرآنية لها وظيفتان رئيسيتان، الأولى المعنوية، والأخرى تتصل بجمال الإيقاع، وهذا إعجاز للعرب من وجهين.

إذ إن مقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضى لفظها في سياقه دلالة معنوية، لا يؤديها لفظ سواه، قد تتدبره فتهتدي إلى سره البياني وقد يغيب عنك فتقر بالقصور عن إدراكه.

ولا يهون من قيمة التآلف اللفظي والإيقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي تجتلي فيه فنية البلاغة، تؤدي المعنى بأرهف لفظ وأروع تعبير وأجمل إيقاع.

فالبلاغة من حيث هي فن القول، لا تفصل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه، ولا تعتد بمعان جليلة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجور عليه ليسلم لها زخرف بديعي.

وهذا هو الحد الفاصل بين فنية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية بدلالتها المعنوية المرهفة ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدمه الصنعة البديعية من زخرف لفظي يكره الكلمات على أن تجيء في غير مواضعها.

فلعل جلال الفواصل القرآنية في نسقها الفريد، يعفينا من لدد خصومة بين أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى، لا يعرفها ذوق العربية المرهف في البيان الأعلى بالكتاب العربي المبين.

فمتى ما شرعت بحث جزئية من جزئيات الأسلوب القرآني تجلى لك الضعف البشري وازددت يقينا بقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان: 27]، إذ تفنى الأعمار ولا تفنى كلمات الله.

فالقرآن معجز، بكلماته، وبآياته، وبمقاطعه، وبسوره، وبتراكيبه، فلا حاجة للمكابرة.

بحث أناس في أسلوبه فما استطاعوا له احتواء، وبحث أناس حروفه وكلماته فاعترفوا بسعة تراكيبه وصعوبة تناوله كله مع أنهم ألفوا أسفارا وتركوا آثارا واعترفوا بتقصيرهم، فما أقول أنا بجنب هؤلاء، إذ تناولت جزئية الفاصلة فظهر لي ما يلي:

1- صعوبة تناول كل فواصل القرآن بالدراسة من جهة المعنى.

2- عدم القدرة على تناول جميع المغايرات في التعبير القرآني والتي عددها ابن الصائغ في إحكام الرأي في أحكام الآي، وذلك بسبب تنوع الصياغة.

3- أن الفواصل تشكل فكرة عامة للآية القرآنية، وإن ضمت مع ما قبلها من الفواصل أعطت معنا عاما للمقطع القرآني.

4- متانة التركيب القرآني والوحدة السياقية لآياته وعدم تعرضه للعي والتكلف مما يجعله صعب الاحتواء وصعب التجزيء للدراسة، فإنك لا تستطيع درس جزئية بعيدا عن السياق.

وأخيرا أوصي إخواني الطلبة على العكوف على هذا القرآن علما وتعلما وصرفا للجهد فيه، فيكفي في ذلك أن يكون طاعة لله قبل كل شيء ثم كما قالﷺ: (احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ). ومازال البحث في القرآن مفتوحا، فأثناء إنجاز بحثي وقفت على مسائل تصلح أن تكون بحوثا:

أ- هل الحروف المزيدة أو المنقوصة من الفواصل للضرورة كقوافي الشعر أم هي لهجات تكلم بها العرب؟

ب-دراسة المغايرات كذلك بالنظر إلى القراءات القرآنية.

ج- دراسة المغايرات بين كلمات القرآن وحروفه وتعابيره.

د- مناسبة الفواصل لآياتها.

ه- اتحاد الفواصل بعضها مع بعض وتناسبها معا.

و- هل الرسم القرآني مبرر للمغايرة أم أنه يحمل دلالات معنوية؟

ولا يغرنكم ما قاله قوم سمعوا زخرف قول الشيطان فذهبوا مشككين وعابثين وفرحين بما عندهم من العلم بلا عقل، سموا زبالة أذهانهم نظريات ومقاطعات للتراث ونسوا ألا مستقبل بلا ماض، ومالأهم على ما هم فيه قوم من بني جلدتنا ممن تأثروا بالفكر الغربي المهلهل، قال تعالى في حقهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ [غافر: 83].

قال السعدي في تفسيره لهذه الآية، ص743:(﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، للهدي من الضلال، والحق من الباطل ﴿فَرِحُوا بِمَا

عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ المناقض لدين الرسل. ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًا.

وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية، لا تفيد شيئًا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان).انهـــ

لا تحسبهم وفكرهم على شيء فإنه أوهى من بيت العنكبوت، اطّلع عليه فقط لتكون على علم بمؤامراتهم في محو الشخصية الإسلامية، لا لتؤمن به، كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ** ومن لم يعلم الخير من الشر يقع فيه.

مكتبة البحث

- القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

كتب الحديث

✍ أحمد بن حنبل.

1- المسند، تح: السيد أبو المعاطي النوري، نشر عالم الكتب– بيروت–، ط1، 1419هـ-1998م.

✍ البخاري، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي.

2- الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار البشائر الإسلامية– بيروت، ط3، دت.

✍ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي.

3- سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت–، دط، دت.

✍ الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر.

4- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، نشر دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، دط، دت.

المصادر و المراجع:

✍ ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم.

5- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت- 1995م، تح: محمد محي الدين عبد الحميد.

✍ ابن جماعة، بدر الدين.

6- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح: عبد الجواد خلف، نشر دار الوفاء-المنصورة، ط1، 1410 هـ/ 1990 م.

✍ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد.

7- فنون الأفنان في عين علوم القرآن لابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، تحقيق حسن ضياء الدين عتر، نشر دار البشائر الاسلامية، ط1، 1407هـ.

✍ ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر علي.
8- خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، نشر دار ومكتبة الهلال، دط، 1987م.

✍ ابن الرومي.
9- الديوان، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-، ط3، 1423هـ-2002م.

✍ ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي.
10-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، نشر دار الكتب العلمية- بيروت، دط، دت.

✍ ابن سنان الخفاجي.
11-سر الفصاحة تح: عبد المتعال الصعيدي –مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ميدان-الأزهر-القاهرة بمصر 1372هـ / 1969م.

✍ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي.
12-المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1417هـ 1996م، ط 1.

✍ ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي.
13-اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-، ط1، 1419 هـ -1998م.

✍ ابن عاشور، الطاهر.
14-تفسير التحرير والتنوير، نشر الدار التونسية، 1984م.

✍ ابن عطية الأندلسي.
15-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت-، ط1، 1413هـ/1993م.

✍ ابن عقيلة المكي.
16-الزيادة والإحسان في علوم القرآن، إصدارات سنة 2006م لمركز البحوث والدراسات-الشارقة-، ط1، 1427هـ- 2006 م

✍ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري.
17-غريب القرآن، تح: أحمد صقر، نشر دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن ط المصرية)، 1398 هـ - 1978م.

✍ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي.
18-كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط1، مطبعة السعادة بمصر 1327هـ.

19-بدائع الفوائد، تح: هشام عبد العزيز عطا، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة، ط1، 1416 - 1996.

✍ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي.
20-تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ - 1999 م.

✍ ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري
21-لسان العرب، نشر دار صادر- بيروت، ط1.

✍ أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي
22-كتاب الكليات، تح: عدنان درويش، نشر مؤسسة الرسالة- بيروت- 1419هـ-1998م.

✍ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف.
23-تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية- لبنان-بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.

✍ أبو السعود، محمد بن محمد العمادي .
24-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، نشر دار إحياء التراث العربي– بيروت، دط، دت.

✍ أبو زهرة، محمد.
25-زهرة التفاسير، نشر دار الفكر العربي، دط، دت.

✍ أبو الفتح ضياء الدين الموصلي، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم
26-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية – بيروت- 1995.

✍ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد
27-تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت-، ط1، 2001م.

✍ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي.
28-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت، دط، دت.

✍ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب.
29-إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، نشر دار المعارف- مصر- 1997م، ط5.

✍ بدوي، أحمد أحمد.
30-من بلاغة القرآن، مكتبة نهضة- مصر- 1370هـ / 1950م، ط3.

✍ البيضاوي، أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد.
31-تفسير البيضاوي، نشر دار الفكر- بيروت، دط، دت.

✍ الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري.
32-الكشف والبيان، تح: أبو محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- 1422هـ/2002م،ط1.

✍ الجرجاني، عبد القاهر.
33-دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، نشر دار الكتاب العربي- بيروت- 1415هـ/1995م، ط1، تح: د. التنجي.

✍ الجوهري، إسماعيل بن حماد.
34-الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، نشر دار العلم للملايين- بيروت، ط4- يناير1990.

✍ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي.
35-لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1415هـ/1995م.

✍ الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني.
36-درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،ط1، 1422هـ / 2001م.

✍ الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني
37-كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي، تح: الحساني حسن عبد الله، نشر مكتبة الخانجي- القاهرة-، ط3، 1415هـ-1994م.

✍ الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر
38-الإيضاح في علوم البلاغة، تح: الشيخ بهيج غزاوي، نشر دار إحياء العلوم-بيروت-، دط، 1419هـ 1998م.

✍ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان.
39-البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري الحمد، نشر مركز المخطوطات والتراث- الكويت، ط1، 1414هـ/1994م.

40-التيسير في القراءات السبع، نشر دار الكتاب العربي- بيروت- ط2، 1404هـ/ 1984م.

✍ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.
41-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تح: محمود خاطر، نشر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، 1415 – 1995.

✍ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي.
42-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-ط1، 1421هـ/2000م.

✍ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل.
43-المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، نشر دار العلم الدار الشامية-دمشق-بيروت، دط، 1412 هـ.

✍ الرافعي، مصطفى صادق.
44-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي–بيروت-لبنان، ط9، 1393هـ/ 1973م.

✍ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله.
45-النكت-ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز-، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، دط، 1961م.

✍ الزركشي، أبوعبدالله بدرالدين محمد بن بهادر بن عبد الله.
46-البرهان في علوم القرآن، نشر دار المعرفة- بيروت- 1391، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.

✍ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي.
47-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت، تح: عبد الرزاق المهدي.

48-أساس البلاغة، نشر دار الفكر، دط، 1399هـ 1979م.

49-الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة- لبنان، دت

✍ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد.
50-بحر العلوم، تح: محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت، دط، دت.

✍ السمعاني، أبو المظفر السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار.
51- تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن- الرياض، دط،1418هـ-1997م، - السعودية.

✍ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله.
52-نتائج الفكر، تح: عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان-، ط1، 1412هـ-1992م.

✍ سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر.
53-الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، نشر دار الجيل- بيروت، ط1، دت.

✍ سيد قطب.
54-في ظلال القرآن: دار الشروق- ط الشرعية السابعة- 1978.

✍ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.
55-الإتقان في علوم القرآن، تح: سعيد المندوب، نشر دار الفكر- لبنان- 1416هـ- 1996م، ط1.

56-معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1. 1408هـ/1988م.

✍ الشنقيطي، محمد الأمين ، بن محمد بن المختار الجكني.
57-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، نشر دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- 1415هـ/ 1995م.

✍ شهاب الدين الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي.
58-حاشية على تفسير البيضاوي- المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، نشر دار صادر ـــ بيروت، دط، دت.

✍ شهاب الدين الدمياطي، أحمد بن محمد بن عبد الغني.
59-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر-منتهى الأماني والمسرات في علوم القرآت-، تح: أنس مهرة، نشر دار الكتب العلمية- لبنان- ط1، 1419هـ-1998م،.

✍ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد.
60-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، نشر دار الفكر- بيروت- 1405.

✍ عائشة، عبد الرحمن (بنت الشاطئ).
61-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف للنشر، ط3، 2004م.

62-التفسير البياني للقرآن، دار المعارف، الجزء الأول ط7، دت، والجزء الثاني ط5، دت.

✍ عبد الرزاق، علي إبراهيم موسى.
63-المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز(شرح وتوجيه أرجوزة الشيخ محمد متولي)، نشر مكتبة المعارف-الرياض، ط1، سنة 1408هـ- 1988م

✍ الغزنوي، أبو الحسن بيان الحق محمود النيسابوري.
64-إيجاز البيان عن معاني القرآن، تح: حنيف بن حسن القاسمي، نشر دار الغرب الإسلامي- بيروت، دط، 1415هـ.

✍ فاضل صالح السامرائي.
65-أسئلة بيانية في القرآن الكريم، نشر مكتبة الصحابة-الإمارات- الشارقة، ط1 1429هـ/2007.

66-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، نشر شركة العاتك لصناعة الكتب، ط2، 1427هـ/2006م.

67-التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، نشر دار عمار-عمان-الأردن، ط4، 2006م.

68-على طريق التفسير البياني، النشر العلمي لجامعة الشارقة-الإمارات العربية المتحدة-، جزأين، دط، 1422هـ/2002م.

✍ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد.
69-معاني القرآن، نشر دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر ، تح: محمد على نجار، دط، دت.

✍ الفراهيدي،الخليل بن أحمد.
70-العين، تح: إبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

✍ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب
71-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار- المكتبة العلمية- بيروت- توزيع دار الباز- مكة المكرمة، دط، دت.

72-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس- رضي الله عنهما-، نشر دار الكتب العلمية -لبنان- ، دط، دت.

73-القاموس المحيط، نشر مؤسسة الرسالة-بيروت-، دط، دت.

✍ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري
74-المصباح المنير ، تح يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، دط، دت.

✍ القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي.
75-الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي تح: هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1423 هـ/ 2003 م.

✍ القلقشندي،أحمد بن علي بن أحمد الفزاري.
76-صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تح: عبد القادر زكار، نشر وزارة الثقافة- دمشق-، دط، 1981.

✍ الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر
77-أسرار التكرار في القرآن، تح: عبد القادر احمد عطا، نشر دار الاعتصام- القاهرة، ط2، 1396هـ.

✍ محمد الحسناوي.
78-الفاصلة في القرآن، طبع المكتب الإسلامي-بيروت-، ط2، 1986م.

✍ محمد رشيد بن علي رضا
79-تفسير المنار-تفسير القرآن الحكيم-، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1990م.

✍ محمد محمد أبو موسى
80-البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، نشر مكتبة وهبة- القاهرة، ط2، 1408هـ- 1988م

✍ المرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني.
81-تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة محققين، نشر دار الهداية، دط، دت.

✍ المظهري، محمد ثناء الله العثماني
82-تفسير المظهري، تح: غلام نبي تونسي، نشر مكتبة رشديه-باكستان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1425 هـ/ 2004 م.

✍ المفضل الضبي، بن محمد بن يعلى
83-المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف- بيروت، ط6، 1383هـ.

✍ المناوي، محمد عبد الرؤوف.
84-التوقيف على مهمات التعاريف، تح: د. محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، ودار الفكر- بيروت-دمشق، ط1، 1410.

✍ النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي
85-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عميران، نشر دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان،ط1، 1416 هـ/ 1996 م.

✍ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد.
86 -الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، نشر دار القلم، الدار الشامية– دمشق- بيروت- 1415، ط1، تح: صفوان عدنان داوودي.

مقالات من الأنترنت:

87-محاضرة بعنوان "أسرار البيان في التعبير القرآني" ألقاها الدكتور فاضل السامرائي ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002م، منشورة بموقع إسلاميات:
.http://www.islamiyyat.com/lamasat/drfadel/fadelmo7adrat.html

الفهارس

فهرس الموضوعات

المحتـــــــــــوى	الصفحة

مقدمة . . . . . أ
الفصل الأول: قراءة في المفاهيم. 1
أولا: المغايـرة: 2
لـغة: 2
وفي الاصطلاح البلاغي: 2
ثانيا: النسق: 3
لـغة: 3
وفي الاصطلاح البلاغي: 4
ثالثا: الفاصلة: 5
لـغة: 5
اصطلاحا: 5
علم فواصل الآي 10
بين السجع والفاصلة: 11
تاريخ مصطلح الفاصلة القرآنية وأهم ما ألف فيها: 15
كيف تعرف الفواصل؟ 19
أقسام الفواصل: 21
رابعا: الإيقـاع: 34
لغـة: 34
اصطلاحا: 34
خامسا: المعنى: 35
لغـة: 35
وفي البلاغة العربية: 37
الفصل الثاني: مغايرة الأنساق في الفاصلة القرآنية 38

📖 المبحث الأول: من مغايرات الأنساق في الفاصلة. 38
📖المبحث الثاني: التغاير بالتقديم و التأخير: 47
مدخل: مقتضيات التقديم والتأخير بين أفراد الكلام. 47
المطلب الأول: التقديم والتأخير بين المتعاطفات. 55
المطلب الثاني: التقديم والتأخير بين الصفات. 71
المطلب الثالث: تقديم وتأخير الجار والمجرور على متعلقه. 77
📖المبحث الثالث: التغاير بالحذف والزيادة. 87
تمهيد 87
❖المطلب الأول: الحذف: 87
❖المطلب الثاني: الزيادة 96
الفصل الثالث: مغايرة الفواصل في متشابهات القرآن. 104
📖المبحث الأول: معنى المتشابه اللفظي. 104
التعريف بعلم متشابه القرآن. 105
التعريف بالمتشابه لغة: 105
المتشابه في الإصلاح : 105
التعريف بالمتشابه في القرآن الكريم: 105
تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحا: 107
موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: 108
حكمة هذا العلم، وأهميته، و فوائده: 108
الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي، وفي توجيهه: 109
📖المبحث الثاني: إبدال فاصلة بغيرها. 112
سورة الأعراف مع سورة النمل: 113
سورة هود مع سورة النحل 114
سورة الحجر 116
سورة الأنبياء وسورة المؤمنون: 117
سورة الصافات 119
📖المبحث الثالث: توطيء الفاصلة بحرف أو لفظة في مشابهتها 120

سورة الأعراف مع سورة هود: 121
سورة الشعراء مع سورة الصافات: 123
الخاتمة 125
مكتبة البحث 130
الفهارس 141
فهرس الموضوعات 142
فهرس الآيات 145
فهرس الآثار 147
فهرس الأحاديث 147

فهرس الآيات

السورة	الآيـــــــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
الفاتحة	﴿الرحمن الرحيم﴾	2	71
الفاتحة	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	4	55
البقرة	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	3	84
البقرة	﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾	4	84
البقرة	﴿رءوف رحيم﴾	142	72
آل عمران	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ الناس ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾	41	56
الأعراف	﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾	45	120
الأعراف	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النساء بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾	81	112
هود	﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	19	120
الرعد	﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾	9	89
الرعد	﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾	32	93
الحِجر	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾	73	115
الحِجر	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾	83	115
النحل	﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾	22 -20	113
النحل	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾	109 -107	113
النحل	﴿و الأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون﴾	6	83
النحل	﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾	16	81
مريم	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ الناس ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾	11 -10	56
مريم	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾	51	75
مريم	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾	54	75
طه	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾	59	4
طه	﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾	25	65
طه	﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾	70	62
طه	﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾	77	100
الأنبياء	﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	92	116

الحج	﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾	21 –19	66
المؤمنون	﴿فاتقون﴾	52	116
الشعراء	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾	70	122
النمل	﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النساء بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	55	112
القصص	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	12 –11	78
الأحزاب	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾	5 –3	97
الأحزاب	﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	10	96
الأحزاب	﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾	26	79
سبأ	﴿الرحيم الغفور﴾	2 –1	73
الصافات	﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾	16	118
الصافات	﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾	53	118
الصافات	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾	85	122
غافر	﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾	32	90
القمر	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	16	93
القمر	﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	37	93
الحاقة	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾	29 –19	98
الأعلى	﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾	6	101
الغاشية	﴿إلا من تولى و كفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم علينا حسابهم﴾	26 –25	82
الفجر	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾	4	91
الضُّحى	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾	3	88
القارعة	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾	10	98
الإخلاص	﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدْ﴾	3	77

فهرس الآثار

-كان يُقطّع قراءته آية آية 18

فهرس الأحاديث

-أسجع كسجع الكهان 12
-الدعاء هو العبادة 56
-العينان تزنيان، واليدان تزنيان 49
-اللهم أنت عبدي وأنا ربك 63
-المرء مع من أحب 87
-إن الحميم ليصب على رؤوسهم 66